



E. Wintworth.

المستشرق متفوخ (أنظر ترجمته صفحة ١٨٠)

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثاني بعد المائة

١ فبراير سنة ١٩٤٣

٢٦ محرم سنة ١٣٦٢

العلم والأمراض العقلية

١ - العلاج بالانسولين

كان الطبيب ما نقر د ساكل يعالج طائفة من مدمني المورفين بمستشفى في برلين سنة ١٩٢٧ فخطر له أن يجرب الانسولين في علاجهم . وهذا العقار هو تور الغدة الحلوة (البنكرياس) ومن فعله عون الجسم على استعمال السكر الذي في الدم . فظن ساكل أن هذا العقار قد يكون فعالاً في انتقاذ هؤلاء الرضى المدمنين من ضرورة زيادة الجرعة المعتادة التي تكفيهم من المورفين ، فيكون الانسولين وسيلة لا نقاذهم من إدمان المورفين

ومن العلوم في دوائر الطب أن نقص السكر في الدم نقصاً سريعاً يفضي الى رد فعل عنيف في الجسم اي الى صدمة . فاذا حقن المصاب بداء البول السكري (ديابيطس مليتوس) بقدر من الانسولين أكبر مما يجب أن يكون هبط مقدار السكر في الدم الى أقل من مستواه اللازم فيصبح المصاب المحقون وكأنه ثمل أو مخدر وقد يفقد وعيه أو تستولى عليه غيبوبة . فكان لا بد لساكل من أن يجرب تجاربه الأولى في الحيوانات ، لأن الحقن بالانسولين يحدث هذا النقص السريع في مقدار السكر . وبعد تجارب متعددة أتقن فيها أسلوب الحقن والمراقبة وما أشبه ، بدأ تجاربه بالمصابين من الناس

كان رد الفعل في بعض المدمنين الذين حقنهم بالانسولين ، أن أصيبوا بتشنج . ولكن معظمهم تصيب العرق منه تصبياً غزيراً ثم أخذ الى السكينة والنوم . فلما استيقظوا من غيبوتهم بعد ساعات عجب الطبيب اسلوكم ، إذ لاحظ أن ألوان الخوف والقلق

وتوفز الأعصاب والشعور بالاضطهاد التي كانت تساورهم قد خفت أو زالت . فلهما نجون
أخذوا الى السكنية، والمنطوون على أنفسهم القاطعون كل صلة لهم بعالم الحقيقة عادوا يدركون
الحقيقة والواقع، والنازعون الى الأزواء أو الخصام انقلبوا الى المودة والتعاون
لم يكن ساكل يتوقع هذه النتيجة الغريبة . فحملته على التفكير . لأنه اذا كان الانسولين
يحسن الحالة العقلية في المدمنين ، فماذا يحول دون تأثيرها هذا التأثير في المجانين . فبدأ
كذلك يجرب طريقته في مرضى العقول ، وفاز بنتائج شجعتة على المضي . ولكن الريية كانت
تحيط بأعماله في برلين ولم يُستح له مجال حر لمواصلة مباحثه وتجاربه ، الى أن انتقل الى
فيينا ، حيث أباح له الدكتور بوتزل Potzl مدير عيادة أمراض الأعصاب بجامعة فيينا ،
فرصة تطبيق أسلوبه على كل مصاب بالخلل (شيزوفرينيا) يدخل تلك العيادة . فلم تنقص
أشهر حتى تواترت الروايات من فيينا ، عن عجائب ما يفعله الدكتور ساكل

وكل علاج جديد لمرض الخبل حري بأن يجرّك العناية والنقد في آن . لأن هذا المرض
معدود في طليعة الأوصاب العقلية التي يصاب بها البشر ، وهو أكثر ما يكون إصابةً للفتيان
والفتيات ، دون العشرين قليلاً أو بعيداً . وكثيراً ما يوصف بأنه عاصفة مستمرة تعصف
بالمصاب ، فتهافت شخصيته ، فيسمع أصواتاً ويرى رؤى من نسج الوهم ، ويميل أحياناً
الى العنف . ويقول الدكتور روي هسكنز ، ان هذا المرض يقابل إصابة رجل « كان فيه
شياطين » على ما جاء في انجيل لوقا ٨ : ٢٧

بدأ ساكل العلاج بطريقته في مايو ١٩٣٣ وبعد قليل تجمّع بين يديه وصف خمسين
حالة حالها في عيادة الامراض العصبية في فيينا . وكانت العادة المتبعة ، أن يفحص المصابون ثم
ينقلون الى مستشفيات الدولة للعلاج بالأساليب المتبعة في علاج الأمراض العقلية . ولكن
ساكل تمكن بعد اتفاقه مع بوتزل من معالجتهم بالانسولين . وقد نجح العلاج في أربع
وأربعين حالة ، وأخفق في ستة مصابين ، فأرسلوا الى مستشفيات الدولة لمعالجتهم . أما المصابون
الذين نجح علاج ساكل فيهم فقد عادوا الى دورهم والى مزاولة أعمالهم

وقد كانت عودتهم الى الصحة العقلية متدرجة . فثمة شابة كانت أوهامها مفرغة في قالب
حروف وأرقام ورموز أخرى ، وشبهها زوجها — عن بعد — على ذراعها . وبعد ما عولجت
سنة عشر يوماً بالانسولين قالت : « يلوحي لي أن بصري أخذ في الضعف فلست أرى الوشم
على ذراعي » . وبعد سويغات رأتة ثانية . ثم زال بعد الحقن بالانسولين ، وكانت مدة
زواله أطول من المدة السابقة . وكذلك تدرّجت الى الصحة العقلية ولكن ثبوت هذه
الأوهام في ذهنها أطال الزمن المنقضي قبل اعترافها بزوال الوشم تماماً ، وأخيراً أخذت هذه

العواصف التي عصفت بعقلها ، ووجه فكرها وشعورها توجيهاً طبيعياً سويّاً . وكان أصعب ما اعترض سبيل الدكتور سا كل معرفة طول الغيوبة التي يجب ان تستولي على المصاب وعدد الحقن . فمنهم من تكفيه ثماني حقن ومنهم من لا يبدأ جسمهم بالاستجابة إلا بعد خمسين حقنة ، ثم يبدأ الطبيب في تقليل مقدار الانسولين تدريجاً . ولا بدّ على كل حال من مراقبة المريض مراقبة دقيقة بعد حقنه حتى لا يصاب بهبوط فكيف يفهم تأثير الانسولين في العقل المصاب ؟ تعددت الآراء وليس بين الخبراء إجماع . فطريقة حدوث الخبل ليست مفهومة على وجهٍ دقيق ، فلا غرو ان يكون علاجه بالانسولين غير مفهوم كذلك حتى الآن . واذن فهذا العلاج قائم على التجربة والاختبار ، على الأكثر . ولكن هذا لا يمنع ترحيب أطباء العقول والاعصاب به ، أيما ترحيب . وفي سنة ١٩٤٠ وضع كشف بالمصابين الذين عولجوا في مستشفيات نيويورك . ولمعرفة تأثير هذا العلاج ومداه ، أخذ من الكشف أسماء الذين انتهى علاجهم في مارس ١٩٣٨ او قبل ذلك . فاذا عددهم ١٠٣٩ مصاباً ومصابة . وعند البحث عن احوالهم في شهر مارس من سنة ١٩٤٠ وجد ان ١٣٢ منهم محتفظون بصحتهم العقلية تامةً وان ١٤٨ منهم كانت حالتهم أحسن كثيراً وان ١٩٢ منهم كانت حالتهم احسن قليلاً . واذن فنحو ٤٥ في المائة من الذين عولجوا ، كانوا بعد انقضاء سنتين على انتهاء علاجهم ، إما قد شفوا شفاءً تاماً وإما تحسنت حالتهم تحسناً متفاوتاً

٢ - العلاج بالمترازول

وبينما كان سا كل مهتماً بتجربة طريقته واقامة الدليل على فائدتها في النساء ، كان طبيب عقلي آخر في هنغاريا يجرب طريقة أخرى قائمة على المبدأ نفسه اي على احداث صدمة في جسم المصاب . وكان اسم هذا الطبيب الدكتور لادسلاوس فون مدونا احد اطباء المعهد الهنغاري الملكي للمجانين . وكان فون مدونا قبل ذلك معنياً بتشريح الدماغ ، فاسترعى نظره الفرق التشريحي ، بين دماغ المصروع ودماغ الخبول . ففي دماغ المصروع تبين نموّاً يفوق النمو السوي في النسيج الذي يصل بين خلايا الدماغ . وفي الخبول وجد هذا النسيج ضامراً ضعيفاً . وتبين كذلك ان المرء قلما يصاب بالخبل والصرع معاً . وان المخبولين رفاق الاجسام بوجه عام بارزي العظام ، بينما المصروعون قصار عراض سمان . وهذه الفروق التي لاحظها كانت فروقاً عامة ، قد يكون لها شذوذ . ثم تبين اخيراً ، انه اذا شدّ أحد مخبول وأصيب بالصرع ، فان خبله يخف بعد نوبة الصرع . وخرج فون مدونا من كل هذا بنتيجة عامة واحدة ، وهي ان الخبل والصرع حالتان متناقضتان

فقال في نفسه اذا صح هذا الاستنتاج ، فلماذا لا نستعين بهذا التناقض في العلاج ؟ واذا كان تشنج المصروع يفضي الى تحسن حال المخبول ، واذا كان الصرع والخبل لا يلتقيان في فرد ما بوجه عام ، فلماذا لا يحدث صدمة تشبه تشنج المصروع ، في امرىء مخبول ، فنقاوم الخبل بنقيضه الطبيعي وهو الصرع او صدمة الصرع

ومن المشهور عند الاطباء ، ان عقاقير معينة تحدث تشنجا . فاختار فون مدونا منها الكافور لتجربته في تجاربه الاولى . ثم جرب عقار المترازول Metrazol في طائفة تالية من التجارب . وهذا العقار هو الآن العقار المفضل عند الذين يطبقون طريقة فون مدونا في هذا الضرب من العلاج

يحقن المترازول في وريد فيعقبه بعد ثوان معدودات تشنج عنيف . ويدوم التشنج من ثلاثين ثانية الى ثمانين ثانية ، تتخللها حركات عصبية عنيفة ، وتلو وتصلب ، ثم تأخذ المصاب سنة نوم عميق يدوم دقائق . والعلاج بالمترازول أسرع فعلاً من العلاج بالانسولين ، فيتيح للطبيب معالجة مصاب ما في زمن قصير محدود . وفي سنة ١٩٣٩ راجع الطبيب فون مدونا وأمريك فريدمان ٢٩٣٧ حالة عولجت بالمترازول واذا ٧٣٧ حالة منها نالت شفاء تاماً أو أكثر قليلاً من ٢٥ في المائة

بدأ فون مدونا طريقته باستعمال حالة الصرع أو ما يشابهها لمقاومة الخبل ، ولكن أطباء آخرين استعملوا صدمة المترازول في علاج حالات أخرى من الأمراض العقلية . وتجاربهم تدل على ان صدمة المترازول أنجع في علاج هذه الحالات منها في علاج الخبل نفسه ، وبخاصة في علاج حالات « الملائخوليا » و « المانيا » المستعصية ، بينما صدمة الانسولين أنجع في علاج الخبل . ومع ذلك فهناك حالات تستوقف الانظار ، عجز فيها الانسولين عن شفاء مخبولين ، ولكن المترازول كان ناجعاً فيها . ويقابل هذا ان هناك حالات أخرى لم ينجع فيها المترازول ونجح الانسولين . والواقع ان المرضى الذين يقاومون مقاومة شديدة التأثير بأحد العلاجين ، يعنون على الغالب للعلاج الآخر . ويرى فون مدونا ان حالات الخبل المستعصية يجب ان تعالج بالانسولين والمترازول على التوالي ، وذلك الى ان تتيح لنا المباحث البيولوجية الدقيقة معرفة حقيقة ما يحدث في جسم المصاب تحت العلاج

والظاهر ان تحولاً عنيفاً جداً يحصل في جسم المصاب ، لان شدة صدمة المترازول ، أسفرت في غير حادثة واحدة ، عن خلع الفك أو كسر الفخذ أو شج أحدى الفقار ، وهذا أو ذاك يحدث في جزء صغير من الثانية ، عند ما ينخلع المصاب أو يلتوي بعنف في أثناء التشنج . وهذه الحوادث وخوف المصاب تكرار العلاج ، حملت بعض أطباء العقول على

الامتناع عن استعمال المترازول . ومع ذلك فغيرهم يرحب به أعظم ترحيب . فالدكتور بنت الاستاذ بكلية الطب في جامعة برامسكا يقول « ان العلاج به، من وجوه التحول الخطيرة الشأن في أساليب الطب العقلي الحديث . نعم ان استعماله قائم على التجربة . ولكنه سيبقى الى ان يحل محله أسلوب آخر أحكم وأدق لان فيه على ما يلوح عنصراً أساسياً صحيحاً »

على أن هذه الاصابات الناشئة عن حالات التشنج العنيف ، لا يمكن تجاهلها . ولذلك عنيت الدوائر الطبية التي تهتم بهذه المسائل ، خلال سنة ١٩٤١ بعقار يدعى « كراز » Curare ، يعطى المصاب قبل المترازول فيخفف صدمة الاخير . وهذا العقار خلاصة نباتية استعمالها أولاً هنود أميركا الجنوبية لسم رؤوس حراهم بها . ودرس كلود برنار الفسيولوجي الفرنسي المشهور فعلها في القرن الماضي وأثبت انها لا تؤذي اذا أخذت شرباً . ثم استعملت في وجوه شتى . وفي سنة ١٩٤٠ جرّب الدكتور بنت في مستشفى الولاية بعاصمة برامسكا ، تجارب جديدة بهذا العقار فوجد انه اذا أعطي المصاب جرعة منه بضع دقائق قبل حقنه بالمترازول خف عنف التشنج الذي يلي الحقن . وقلت كذلك نسبة العظام التي تصاب بشج أو كسر والدكتور فون مدونا يعترف بأن المترازول يهز الجسم هزاً عنيفاً ولكنه يعتقد ان هذا الهز لازم للقضاء على سلسلة الافعال المرضية ولاعادة الدماغ المؤوف الى حالته الطبيعية ويعتقد كذلك ان دراسة الحالات التي تعنو للانسولين ولا تعنو للمترازول أو تعنو للمترازول ولا تعنو للانسولين قد تقضي الى الكشف عن أساليب اقل عنفاً في القضاء على سلسلة الافعال التي تقضي الى الخبل . وعندئذ يُعَدَّل عن الصدمة والغيبوبة اللتين تصحبان العلاج بالانسولين وعن الحالة الشبيهة بالصرع التي تصحب العلاج بالمترازول، الى أفعال كيميائية بطيئة تغني عن هذا الهز العنيف الذي يصيب الجسم في العلاجين

٣ - العلاج بالصدمة الكهربائية

والطريقة الثالثة الحديثة في معالجة الامراض العقلية هي الطريقة الكهربائية وهي أحدث من الطريقتين السابقتي الذكر ومرجعها الى الطبيين شريتي ويني الايطاليين في عيادة الامراض العقلية والعصبية بروما . وقد بدأ هذان الطبيبان تجاربهما في الكلاب سنة ١٩٣٨ ثم طبعاها على بضعة مصابين من البشر . ثم عني رجال الطب في فرنسا والمانيا وبريطانيا بهذه الطريقة وفي أواخر سنة ١٩٣٩ بدأت أنباء العلاج الناجع بها تظهر في الصحف الطبية البريطانية . وحوالي هذا الوقت شرع أطباء الولايات المتحدة يعيرونها اهتمامهم واحداث الصدمة الكهربائية في المريض تقتضي القاءه على مائدة ثم وضع قطعتين من

المطاط على صدغيه ، تتخللهما قطع من النحاس للاتصال الكهربى ، ثم يطلق تيار كهربى متفاوت طاقته بين سبعين فولطاً ومائة فولط مدى جزء من الثانية فيخترق رأسه ، وعندما يجري التيار يغيب المريض عن الوعي ، ثم تتحرك فخذاه وذراعه حركة عصبية ، ويهزه تشنّج ، ثم يغفو ويفيق بعد دقائق . وهذا الأسلوب من العلاج لا يلزمه خوف التكرار كما يحصل في العلاج بالمترازل . ولعلّ هذا سببه ان المصاب يفقد وعيه حالما يسري فيه التيار الكهربى ، فلا يحسُّ بطلائع التشنّج التي تسبق صدمة المترازل . وما روي عن الحالات التي عولجت على هذا النحو ، يشير الى نجاح العلاج في ١٥ الى ٥٠ المائة منها

من حالات الأمراض العقلية حالة تعرف بالجنون السوداوى ، وهي لا تعنو للانسولين إلا نادراً ولكن البحث الحديث أثبت ان الصدمة الكهربائية تنجح فيها ، كما ينجع العلاج بالمترازل . وحالة الجنون السوداوى حالة يتداول فيها المصاب دور الجنون ودور السوداء (عن معجم دورلند الطبي) والمصابون بها هم على الغالب نهب موزّع بين النشاط والتراخي ، أو بين الهياج والهبوط ، أو بين التماذى في الزهو والبهجة وبين التماذى في الانقباض وتنعيف النفس والميل الى الانتحار

وقد وضع ثلاثة أطباء أميركيين من مستشفى بنسلفانيا تقريراً عن المصابين بالجنون السوداوى الذين عالجهم بالصدمة الكهربائية ، وهم ثلاثة عشر مصاباً فشفي اثنا عشر مصاباً منهم ، والثالث عشر دون الباقي لم تصلح حاله . وفي المدة نفسها عولج ثلاثة مصابين بالخلل ، بالصدمة الكهربائية ، فلم ينجع فيهم العلاج . ثم ثبت ان الصدمة الكهربائية ناجعة في علاج حالة ملائولية تصيب الكهول . وقد عولج ثلاثة عشر مصاباً بها ، بالصدمة الكهربائية ، فشفي ستة وتحسنت حال خمسة ، ولم تنجح في الاثنين الباقيين . وتشير التقارير الواردة من مستشفيات آخر الى نتائج لا تختلف عما احتواه هذا التقرير بوجه عام

٤ - العلاج بالتبريد

وأحدث عهداً من العلاج بالصدمة الكهربائية ، العلاج بالتبريد . وقد أذيع خبره أولاً في ربيع سنة ١٩٤١ من بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية . فقد روى الطبيبان تالبوت وتيلستسون أن عشرة مجبولين عولجوا بالانسولين والمترازل وغيرهما من أساليب العلاج فلم يجنوا فائدة ما

وأعطى هؤلاء المصابون مخدراً خفيفاً جعلهم لا يحسون البرد ولفوا بملايات مزدوجة مطلية بطلاء خفيف من المطاط ويسيل فيهما برّد مائل ، فنخفضت حرارتهم الى دون الحرارة الطبيعية .

وكان أمد كل علاج يتفاوت من أربع وعشرين ساعة الى اثنتين وسبعين ساعة ، وفي خلالها كانت حرارة الجسم الباطنية بين ٣٢ درجة مئوية ونحو ٢٧ درجة مئوية وأحياناً أقل . وكان أحد هؤلاء المصابين صبيّة مضي عليها سنتان لم تخاطب خلالها أحداً . ولكن عندما كانت حرارة جسمها حوالي ٣٢ درجة مئوية كانت تنكح كلاماً لا تعثر فيه ولا اضطراب . فلما ارتفعت حرارتها الى ٣٤ درجة مئوية اضطرب كلامها وتهاافت . وبعد العلاج الثالث بالتبريد ، احتفظت بصفاء ذهنها أو بحالة قريبة من الصفاء . وتقرير هذين الطبيين يشير الى أن أربعة من المصابين العشرة الذين عولجوا بهذه الطريقة ، أصابوا تحسّناً يذكر . ومهما يكن أسلوب العلاج ، وسواءً أتبريداً كان أم صدمة كهربية أم أنسوليناً أم مترازولاً أم غيرهما ، فليس ثمة ريب في أن العلاج يحدث تأثيراً عنيفاً في الجسم ، ولا سيما في الجهاز العصبي المركزي . وبصرف النظر عما يحدث في أثناء التشنج عند العلاج بالمترازول ، من كسر العظام أو شج الفقار ، فهناك ما يشير الى أن طائفة من خلايا المخ تصاب أو يقضى عليها نتيجة للتغير العنيف الطارئ على الجسم . وفي حالات معروفة ، بقي المصاب يصاب بالتشنج بعد انتهاء العلاج ، فأضيف الصرع الى الخبل . وهناك مصابون آخرون تحسنت حالتهم العقلية تحسّناً واضحاً ، ثم ارتدوا الى جنونهم . وفريق غير يسير من أطباء العقول يخشون النتائج البعيدة ، أو العواقب البعيدة لهذه الأساليب من العلاج ، ويذهبون الى أن نفعها الثابت لم يقيم الدليل عليه بعد ، وأنه يجب عد هذه الأساليب في دور التجربة ولم تتعدده ويقابل هؤلاء فريق آخر من الأطباء يذهب الى أن القضاء على الخلايا المريضة أمرٌ نافع والى أن أساليب العلاج بالصدمة قد تحدث تأثيراً في الخلايا المريضة دون الخلايا السليمة أي أنها تكون اختيارية بطبيعتها (Selective) . وبازالة الخلايا المريضة ينجو الدماغ من وحداته المريضة المؤوفة

وليس ثمة ريب في أن الاشارة باستعمال العلاج العنيف لا محل لها إذا نفع اللين . ولذلك يقول الدكتور فريدمان أحد أطباء عيادة الطب العقلي ببرن عاصمة سويسرا ، أن العلاج والشفاء بالأساليب السيكلوجية ، مفضلان ، لأن ارشاد اعمال التفكير الى الطريق الصحيح خير من إماتها !

ولكن أطباء كثيرين يعرفون حالات متعددة عجز فيها الطب النفسي عن كسر الحاجز الذي يفصل الشخصين ، على حد قول أحد المخبولين « ان هناك لوحاً من الزجاج بيني وبين الانسانية » . ففي بعض الاحيان لا يجدي اللين في ازالة هذا الحاجز ولا بد من العنف لكسره ، كعنف صدمة ، أو عنف مبضع جراح

٥ - العلاج بالجراحة

نعم مبضع الجراح ، لأن للجراحة اسلوباً في معالجة هذه الحالات . ولا ريب في ان البضع والقطع اشد اساليب علاجها عنفاً على الإطلاق . والعملية الجراحية تدعى عملية « القطع » لأن الجراح فيها يقطع الصلة بين خلايا قشرة المخ داخل الجبهة ، وخلايا باطن المخ في اعلى العمود الفقري ، وهو الجزء من الدماغ المعروف باسم « التلاموس » *thalamus* . وقد ابتكر هذا الاسلوب الجراحي اولاً ، الدكتور مونيز البرتغالي في سنة ١٩٣٥ . ثم استعمله طبيبان من اساتذة كلية الطب في جامعة جورج واشنطن الاميركية ولكنهما ادخلا تعديلاً عليه . وكان الطبيبان الاميركيان قد قصر اعمليتهما الجراحية على المصابين بضرب من الملائخوليا يصاب به الكهول على الأكثر ، ولكن جراحى معهد مستشفى بنسلفانيا بمدينة فلادلفيا قرروا تجريبه في الخبولين اذا أخفقت كل وسيلة أخرى في علاجهم . واختار الجراح الدكتور ستركر خمسة مصابين من جماعة قطع الامل من شفاهم لاجراء العملية عليهم . وكانوا جميعاً قد صيبوا قبل خمس سنوات على الأقل وعولجوا بالانسولين والترازول وغيرهما فلم ينجع علاج ما فيهم . وكان هؤلاء الخمسة اربع نساء ورجلاً واحداً وكان اصغرهم سنّاً في الخامسة والعشرين وأكبرهم سنّاً في التاسعة والثلاثين وأجرى العمليات الدكتور فرنسيس غرانت

وقد قال الدكتور ستركر في تقريره ، وهو محافظ شديد المحافظة في قوله ، ان الشفاء التام بفضل هذه العملية غير منتظر ولكن حالة المصابين الخمسة تحسنت . ومقابلة سلوكهم بعد العملية به قبلها تشير الى أن التحسن كان كبيراً ، وفي حالة امرأة واحدة كان تحسناً عجيباً . فهذه المرأة كانت تساورها أصوات تعذبها حتى رجت الطبيب أن يثقب طبلي أذنيها لكيلا تسمع شيئاً بعد ذلك وهذه الأصوات المزعجة دفعتها الى الصخب والعنف . ولكنها الآن بعد اجراء العملية ، سيدة متوسطة العمر ، وقد تزوجت ورزقت بطفل (برغم مشورة الطبيب) وحياتها الاجتماعية والعائلية موسومة بالهناء والرغد وهي امرأة سوية من كل ناحية . فالتغير الذي طرأ عليها كان في منزلة معجزة . ومما يشك فيه ان يكون في تاريخ الامراض العقلية ، تحول تام كتحوّلها من الخبل الى العقل والرضى

فالتنائج التي أسفرت عنها هذه العمليات الجراحية وغيرها من أساليب العلاج تقضي — في رأي الأطباء — على القول بأن الجنون مرض نفسي يحيط الخفاء به من كل ناحية ، ولا يعنو إلا للعلاج النفسي . فلا يكفينا في المستقبل — على قول الدكتور فونستر كندي — « أن نعالج العقل المريض بالفلسفة والكلام »

شرق بصير

وغرب مبصر^(١)

لميخائيل نعيمة

تفرّدت اللغة العربية بكلمات كثيرة ولا سيما في معالجة النفس البشرية وما انطوت عليه من قوى ومشاعر وزغات . وفي ذلك دليل على أن بناة هذه اللغة الكريمة قد سبروا في النفس أغواراً صحيحة وإلا لما خلقوا لغة تمكنهم من تصوير دفائن النفس في أدق معانيها ، وأشرف ألوانها ، وألطف ظلالها ، فما كانت اللغة يوماً أكثر من أداة للافصاح عن حاجة النفس أو حاجة في الجسد . فعلى قدر ما تتسع تلك الحاجات وتتنوّع طواياها تتسع اللغة وتتنوّع أساليبها . وشعب غزير الحس ، مرز الفكر ، وثاب الخيال لا بدّ من أن يخلق لغة غزيرة الألوان ، مرنة المفصل ، وثابة البيان

من أكمل كلمات العربية وأسمائها تميزها ما بين «البصيرة» و«البصر» وجعلها السكّاتين فرعين من أرومة واحدة ، بل توأمين من بطن واحد . ولكن ذاك الفرع غير هذا . ولكن هذا التوأم غير ذاك . فكأنهما واحد وليسا بواحد . فالعين إذ تمر بهما تحسّ ما بينهما من تجانس . ولكنها تحسّ مع التجانس تبايناً . والأذن إذ تلتقطهما تستأنس في الاثنين برنة تكاد تكون واحدة ولكنها غير واحدة . فهما أبدأ متلاصقان متباعدان ، ومتشابهان متناقضان . أما التلاصق والتشابه ففي المصدر ، وأما التناقض والتباعد ففي الطريق والواسطة فالبصر — ومركزه العين — يحرص كل حصة في التقاط أشكال الأشياء وألوانها ومن أشكالها وألوانها يحاول أن ينفذ إلى كنهها . حين أن البصيرة — ومركزها القلب أو الوجدان — همّها الوصول إلى بواطن الأشياء دون التلهي بظواهرها . فالاثنان يدأبان وراء المعرفة . لكن سبيل الواحد غير سبيل الآخر . أما أي السبيلين أفضل وأكفل بالوصول إلى المعرفة فأمر لكل منكم الحق أن يبت فيه بحسب هواه

أما أنا فقد قلت من زمان — وما أزال أقول — بأسبقية البصيرة على البصر في

(١) أذيعت من راديو الشرق = بيروت

بلوغ الغاية المنشودة التي هي الفهم الاقصى المؤدي الى الحرية القصوى
 لن يبلغ البصر قلب الحقيقة قبل أن يبلغ حدوده ويدرك عجزه وقصوره ، ويلوذ
 بالبصيرة فينقلب بصيرة . أما البصيرة فلا حدود لها ، مثلما لا حدود للحقيقة التي تتوخاها .
 فهي ، وان توكت على البصر ، لا تسير على نوره . فالحدود لا يسع سوى المحدود . وما كان
 بغير حدود لا يسعه إلا ما كان بغير حدود

والآن اذا ما قلت لكم ان الشرق هو بصيرة العالم وان الغرب هو بصره فما إخالكم
 تسيئون فهم ما أقول ، فتحسبوا ان الشرق كله بصيرة ولا بصر ، وان الغرب كله بصر ولا
 بصيرة . ذاك يعني تحريدم الشرق عن كل حسّ خارجي ، وتحريدم الغرب عن كل شعور
 باطني . وهو غير الواقع وغير المعقول . وجلّ ما أرمي اليه هو القول بأن زبدة الشرق في
 بصيرته وزبدة الغرب في بصره . وان الاثنين توأمين متلاصقان يبدوان كأنهما واحد
 ولكنهما غير واحد . لقد اتبع الشرق هديّ البصيرة . واتبع الغرب هديّ البصر . فأنجب
 الاول الانبياء وأنجب الثاني العلماء . فكانت هدية الانبياء الى العالم أدياناً ترفع الأرض الى
 السماء وكانت هدية العلماء علوماً تهوي بالسماء الى الأرض

لكنما الإنسان ، وقوى الانسان ، من ظاهرة وباطنة ، في مد وجزر متلازمين . فلبصيرة ،
 مثلما للبصر ، مدّ يتلوه جزر ، وجزر يتلوه مدّ . ومنذا ينكر ان من بصيرة الشرق قد فاض
 على العالم مدّ جارف من السمالات والجماليات الروحية ؟ منذا ينكر على الشرق قوة اندفعت
 من قلبه وفكره وروحه الى كل قلب وفكر وروح فتغلغلت في نبضاتها وسيطرت على
 خلجاتها ، وتسلمت على أقدم أشواقها وأعز أمنياتها ؟

منذا ينكر على الشرق سلطانه على كل ابناء الأرض منذ كانت الأرض وكان الشرق ؟
 واي سلطان يتوخاه انسان على انسان ، أقوى من السلطان على القلب والفكر والوجدان ؟
 ما هي بالهدية العظيمة ان تهدي الى العالم بأسره إلهاً ، ومع الاله اليقين بأنه أبوك الشفوق
 الرحوم العادل ، ومع اليقين الرجاء بالانعتاق من ربة الموت وآلام الموت

تلك هي هدية الشرق الى العالم . وهي هدية ما تلقفها العالم حتى أصبح كله معبداً لاله
 تعددت أسماءه ولكنه واحد . واذا الناس يفتحون أبواب قلوبهم وأفكارهم وبيوتهم لذلك
 الاله فلا يأكلون ولا يشربون ، ولا يزوجون ولا يتزوجون ، ولا يعملون ولا يستريحون ،
 ولا يولدون ولا يموتون إلا باسمه وبمشيئته

وكان بصيرة الشرق اذ هدت العالم الى الله حاولت ان تعطل بصره من قبل ان تفتح
 بصيرته . فكان من ذلك ردّ الفعل القطيع الذي بدأنا نشهده في العصور الأخيرة . وأعني
 طغيان البصر على البصيرة . فالبصر اليوم في مدّ والبصيرة في جزر . وكما استغرق مدّ

البصيرة أجيالاً بل عصوراً طويلة ، يستغرق مدّ البصر عصوراً طويلة . ولعلّ العصر الذي نحن فيه هو نهاية تلك العصور

لقد كان من مدّ البصر ان حياة الانسان المادية أخذت تتقلب من حال الى حال بسرعة خاطفة فنظمّ تنهار ونظمّ تشاد وحوازر تندك وأخرى ترتفع وممالك تمحى وغيرها يسطر وآلىء تغدو حصى وحصى تغدو آلىء . ما كان أمس حراماً يصبح حلالاً وما كان حلالاً يسمي حراماً هوذا الانسان يهزأ بالفسر في جوده ، وبالخوت في بحره ، وبالأسد في عرينه . وهو يمتنطق بصوته الأرض ، ويحس نور النهار في أسلاك يسقطها على الليل فتتمحو ظلامه . ويجترح من العجائب أشكالاً وألواناً في مختبراته العجيبة . ولا ينقصه — على حد قول البسطاء — إلا أن يخلق انساناً نظيره ثم أن يغلب الموت

حقاً انه لتينار هائل جارف تتعالى أمواجه وتتدافع في كل ناحية . وفي تدافعها صخب الزلازل وعتوّ العواصف ، مع شيء من بهجة الفصول ، ورونق السماء ، وسحر الفوز بالغبية ، وجاذبية القوة الظافرة . فلا غرو اذا ما هي غمرت المعمورة وبهرت الأبصار فهي بنت البصر وللبصر الحق أن يعتز بها . فهو ما أنجبها إلا لينعم بمواهبها وخدماتها لا غرو أن يقف العالم ، وفي جملة هذا الشرق ، مشدوهاً تجاه مدنية الغرب البصر ، وأن يهتل لها ويكبر ، وأن يغفر لها كل زلاتها ، ثم أن يعقد عليها آمالاً أبعد بكثير من مدى سلطانها . فهي ، على ما فيها من مرارة ، غنية بالحلاوة التي لا يصعب على أي انسان تذوقها . لأنها حلاوة يتذوقها الحس . أما حلاوة المدنية القائمة على البصيرة فدون تذوقها شق النفس وقهر الجسد . لذلك كانت الأولى أقرب الى متناول الناس وأذواقهم من الثانية . ففيها — كما جاء في بعض الحكايات — « ما يُجَلِّي ويُسَلِّي ويعشي الحمار » . والحكاية — اذا كنتم تجهلونها — هي حكاية مكارٍ معه حمار بلغ عند المساء فندقاً في الطريق فعزم أن يبيت ليلته فيه . ثم طلب الى صاحب الفندق أن « يأتيه بشيء رخيص يجلي ويسلي ويعشي الحمار » فما كان من صاحب الفندق إلا أن جاءه ببطيخة . فتحلى بلها وتسلى ببذرها وعشى حماره من قشرها ومدنية البصر للجواهر كمثل البطيخة لذلك المكاري . ففيها ما يدغدغ الذوق ، ويسلي العين والأذن ، ويلهي الانسان عن نفسه . مثلاً فيها غذاء — أو بعض الغذاء — للبهيمة في الانسان . أما القلب فتتركه فارغاً . وأما الروح فتعلقه على مشقة الشك والحيرة والابهام . إلا أنها ذات قيمة من غير شك . فليس من الحكمة نبذها ومن الجهل المطبق التفتيش فيها عن التغذية الكاملة للانسان الطامح الى الكمال

ذلك اذا ما أخذتموها من حيث تريد هي أن تؤخذ ، أي من حيث محاسنها لا غير . أما اذا تفحصتم مساوئها فلن تجدوا مدنية قبلها بلغت ما بلغته من التكالب والتباغر والقساوة

مع الكثير من التبجح بالعكس . وإمّا عجبتم لمشهد غريب فاعجبوا معي لهذا الشرق — وقد أهدى الى العالم المحبة والقناعة والتضامن والتآخي — يقف اليوم على مفترق طريق البصيرة والبصر كسير القلب ، ذليل الجفن ، ضامر الصدر والبطن ، ويمينه الفارغة ممدودة نحو الغرب ، وفي يساره قائمة بأسفاره المقدسة واسماء انبيائه ، ثم اسمعوه يستعطي بصوت متهدج فيه الانسحاق ، وفيه المسكنة والاندحار . وماذا عساه يستعطي ؟ انه ليستعطي طيارات ودبابات ومدمرات ومدافع وقنابل . واني لا سمعهُ يقول :

« من يقايضي قنبلة محرقة باية منزلة ؟ وطيارة او دبابة بسفر مقدس ؟ بل من يقايضي مخترعاً واحداً بعشرة أنبياء ؟ »

ما هذا ، ما هذا ؟ أبصيرة تستجدي بصرآ ؟ أشمس تستغيث بذبالة ؟

أجل . ان بصرآ نشيطاً خيّر من بصيرة كليمة . وبصيرة الشرق حلّ بها كلال منذ ان بلغت من مدتها أقصاه . وان ذبالة تشتعل خير من شمس اعتراها الكسوف . وشمس الشرق حلّ بها كسوف منذ ان انكفأ الشرق على ذاته في جزره الطويل . إلا أن الكلال يزول بالراحة . والكسوف ، من بعد ان يبلغ حدّه ، ينجلي عن شمس كلها نار وكلها نور . ومن ثمّ فالحياة — وهي أم التوأمين بالسواء ، أم البصيرة والبصر ، أم الشرق والغرب — ما درجت بالشرق الى أسمى ذراه حتى عادت فدرجت بالغرب الى اسمى ذراه والذروتان ستلتقيان حتماً في ذروة واحدة هي ذروة الانسان الموحّد والمالك زمام نفسه وزمام الارض والسماء

اما زمان الملتقى فلن ينقاد تحديد قربه وبعده الى الذين يقيسون الزمان بالساعات والسنين ، والفضاء بالأذرع والفراسخ . فهو قريب ، أو قريب جداً لمن في بصيرتهم أبصار ، وفي بصرهم بصائر . وبعيد ، وبعيد جداً لمن بصائرهم كفيفة وعلى أبصارهم غشاوات . واني ان يكون الملتقى لا بد للشرق من وثبة بعد هجعة ، وللغرب من هجعة بعد وثبة .

بل لا بدّ لذلك وهذا من وثبات بعدها هجمات

واني لأرجو لهذا الشرق ان تكون وثبته القادمة وثبة تجلو الغشاوة عن بصيرته وعن بصر أخيه الغرب . وثبة فيها القوة دون البطش ، والمعرفة دون الادعاء ، والرفعة دون الكبرياء ، والقناعة دون الخنوع ، والايمان دون التعصب ، والسلام دون الانتقام ، والنور دون النار ، والسكينة دون الاستكانة . وكيف لمن ميم الذل دهرآ ان يسوم سواه الذل يوماً ؟ ولمن ذاق طعم الفقر ان يشتهي لغيره ؟ لا يشبع من أجاج جاره . ولا يعلو من نعله على عنق قريبه . ما دامت البشرية على هذه الأرض دام شرقها في حاجة الى غربها ، وغربها في حاجة الى شرقها . وكان ما يرفع الواحد يرفع الآخر ، وما يحط هذا يحط ذاك . فإطار نسبٍ بجناح واحد ولا صفقت يمينٌ بغير يسار

شاعر الحب والفلاوات

ذو الرُّمَّة

محمود محمد شاكر

— ١ —

« ذو الرُّمَّة : لقبٌ غلب عليه ، واسمه « غيلان بن عقبة بن مسعود » من بني عدي بن عبد مناة . وأمه « ظبية بنت عبيد أو بنت مصعب » من بني أسد . وإخوته لأبيه وأمه : « مسعود » و « هشام » و « جرفاس » ، وكلهم شعراء . وكان هشام من عقلاء الرجال . وخاله أبو جنة الاسدي « حكيم بن عبيد أو ابن مصعب » ، وكان شاعراً . وابن عمِّه « أوفى بن دلهم العدوي » ، وهو أحد من يزوى عنهم الحديث ، وكان رجلاً صالحاً . وصاحبته مي بنت عاصم بن طلحة بن قيس بن عاصم المنقري . وجدها قيس بن عاصم هو الذي قال فيه رسول الله : هذا سيد أهل الوبر . ثم شَبَّ ذو الرمة بخرقاء العامرية ليكيد بها مَيَّة - وذلك قبيل وفاته بقليل - ثم نزع الى صاحبته حتى مات »

قبس يتوقّد في عيني هذا الغلام البدويّ النحيف ، وقد أخذت أمه بيده تريد ذلك الشيخ سيد بني عدي بن عبد مناة « الحُصَيْن بن عبدة بن نعيم العدوي » وجاءت المسجد والناس على صلاتهم ، حتى اذا ما انفتلوا عن موقفهم ، وانفضوا عن إمامهم أقبلت عليه : يا أبا الخليل إن ابني هذا يروّع بالليل كأنما يفرّعه شيطان ، وإني لأخاف عليه ، فاكتب لي معاذة أعلقها على عنقه . قال الشيخ : إيتيني برقّ أكتب لك فيه . قالت : فإن لم يكن ، فهل يستقيم في غير رقّ أن يكتب له ؟ قال : خيئني بجلد . فانطلقت الأم الواهة حتى أتته بقطعة جلد غليظ ، فكتب الشيخ له معاذة فيه ، فعلقها في عنقه مشدودة على يساره في حبل أسود فمكث الغلام بها ما شاء الله أن يمكث ، حتى قال شعراً . وإن أمه لتشي به الى بعض

حوائجها ، فلما كانت ببعض الطريق ، مرّت بالشيخ سيد بني عديّ بن عبد مناة ، وهو جالس في ملا من أصحابه ومواليه . دنت وسلّمت وقالت : يا أبا الخليل : هذا غلامك غيلان قد شبّ وقال ، ألا تسمع قوله وشعره ؟ قال : بلى ! يا أم مسعود ! فتقدّم الغلام فأنشدهم ، فاذا أبلغ قائل ، وأنطق متكلم ، وأحسن صوت في أحبّ إنشاد ، كأنما يرتل مزامير داود . قال الشيخ لقد أنجبت يا أمّ مسعود ! أحسن ذو الرمة ! وانه لشاعر ! فمن يومئذ ذهب بلقبه « ذي الرمة » ، لذلك الحبل الاسود البالي الذي كان في عنقه ، والذي كانت فيه المعادة . (والرمة قطعة من حبل بالية)

ولم يلبث أن خرج الغلام « ذو الرمة » ، هو وأخوه مسعود وابن عمه (أوفى) ، في بغاء إبل ضلّلت لهم ، حتى اذا أجهدهم العطش ، وردوا ماء . واذا حواء عظيم . فقال مسعود لأخيه الغلام : إيت الحواء فاستسق لنا . فانطلق ، فاذا عجوز جالسة فاستسقاها . فالتفت وراءها وقالت : يا بني ! اسق الغلام ! ... ودخل ذو الرمة على مي وهي تخطّ ثوبا لها ، وهي تتغنى بأرخم صوت يا من رأى برقاً يمرّ حيناً ؟ زمزم رعداً وانتحى يمينا كان في حافته حنيناً أو صوت خيل ضمّر يرديننا

فقطعت غنائها ، وقامت إليه تصبّ في قربته من الماء . وعلى الفتاة برّد فارسي لا جيب ولا كمّ يسمونه « الشوذر » . فلما مالت على القربة تصبّ ، رأى ذو الرمة فلما بالنظر اليها ... غلام متوقّد ينظر من عيني باز ، إلى فتاة أحسن من النار الموقدة في الليلة القرة في عين المقرور . مسنونة الوجه ، أسيلة الخد ، شماء الأنف ، حسّانة الجيد ، هيفاء أملود ، واردة الشعر ، عليها وسّم جمال ، تنظر عن عيني غزال . فجعل يستطعم حديثها ، حتى انطلقت تحدّثه ويحدّثها ، والماء يذهب يمينا وشمالاً . رقت الفتاة للغلام حين نّمّ صوته على هواه . فقالت له : يا ذا الرمة ! لقد كلّفك أهلك السفر ، على ما أرى من صغرك وحدائة منك ! ! وتظنّ لها العجوز ، وتقبل عليهما ، وتقول : يا بني ! أهلك ميّ عما بعثك أهلك له ! أما ترى الماء يذهب يمينا وشمالاً ؟ فلم يحش أن يقول لها يا أمّاه ! أما والله ليَطولن هيامي بها ! ! ... ثم يملاً قربته وينصرف ، ويأتي أخاه وابن عمه . ولم يطل به الامر حتى أخذه من هواه ما قرب وما بعد ، فيلف رأسه ، وينتبد دونهما ناحية ، حتى دنا رحيلهم فارتحلوا ، ومي أحلام ليله ونهاره

وشبّ الغلام في وَهج الحب . . في سكير الحرمان ، فاذا هو شابّ آدم ، رقيق البشرة ، مدوّر الوجه ، أكحل حلو العينين ، برّاق الشنايا ، حسن المضحك ، أفتى الأنف ، أنزع الرأس ، حسن الشعرة جعدها ، خفيف العارضين بدوي جميل المنظر ، لوّحته البيد والاسفار ، وإذا هو يفتّر عن شاعر عاشق مُلهم لجبّي الصبا ، لا يشكو الحب أحد أحسن من شكواه ، مع عفة وعقل رصين . وإذا هو يتعشق الأطلال في البوادي والقفار ، فيقف عليها متأملاً قد

نفذت به أشواقه إلى سرِّ الرمال ، فلا ينعت الفلوات ، وسرايها ، وأسفارها ، وسفرها ، وما فيها من شيء ... شاعرٌ ، أبرع من نعته . ويتسامع الناس بهذا « الغلام من بني عدي » الذي يركب أعجاز الإبل وينعت الفلوات ، حتى يحسده فحول الشعراء كجبرير والفرزدق ، فيؤخروا ذكره لما يرون من حداثة سنه ، وأنه لا يحسن من الشعر ما يحسنون ... هذا المدح ، وهذا الهجاء ، وهذا الفخر !

ولكن الفتى البدوي العاشق يندفع إلى الحضر فيكثر أن يأتي الكوفة والبصرة يدعُ رجز أهل البادية ، ويأخذ في القصيد . ويلمُّ بأهل الحضر فإذا هو عندهم من أظرف الناس وأرقهم : بدوي طاشق ، غفيف الطرف ، عذب المنطق . إذا نازع أحداً الكلام لم يسأم حديثه ، وإذا تكلم تكلم أبلغ الناس ، يضع لسانه حيث شاء ، لم يكن أحد من القوم أحلى كلاماً ، ولا أجلى منطقاً ، ولا أحسن جواباً منه ، حتى كانوا يرون أن كلامه أكبر من شعره

ولم يزل الفتى يتردد بين ديار ميّ في بلاد بني منقر ، وبين دياره في بلاد بني عدي ، وبين الكوفة والبصرة . فتجولوا أرض الحضر وحديث أهلها بعض ما في نفسه من جفاء البادية . حتى إذا لجّ به هواه عاد إلى بلاد ميّ ينظر الديار بعينين ظامئتين ، فإذا خفّ ما به انقلب إلى أهله ، يحدث بينهم قلبه . ولا يزال يردد ذكر ميّ حتى عرف بها وعرفت به ، ولم يكن ما به إلا هوى فتى لفنة هو عليها — إن شاء — قادر . ففنع بذكرها وحبها زمناً ، وجعلت عناصر المأساة تتجمع من هنا ومن هناك ومن ثمة ، وذو الرمة في أسفاره يتطوح بين البوادي والحضر ، يسترير طيف ميّ على البعد ، قد عمي عن خجاءات الغير ! لم تلبث ميّ أن تزوجت أحد رجال قومها : « عاصماً المنقري » . نسيت الغلام الذي عجت منه ومن أخيه مسعود ، يوم

« رأت غلامي سَفَرَ بعيد يدّر عان الليل ذا السدود »

« مثل ادّراع اليلَمَق الجديد »

نسيت ميّ عيذه تنظران في عينيها ، وهي تصبّ له الماء في قربته ، فيشغلها الحديث ويشغله ، فيذهب الماء يميناً وشمالاً . نسيت ذلك الهيام الذي انبعث في صوت الغلام يدعو هواها إلى هواه . لم تأبه لذلك القلب الغض الذي تنسّمها فاستراح ، ثم فارقتها ليتعبّد لها ولطيفها في الليل والنهار . . . مات صدى كلماته وهو يقول لأمها : « أما والله ليطولنّ هيامي بها » ، فلم تجد لها في نفسها رجعاً

ويعرف ذو الرمة خبر زواج ميّ ، فيجن جنوناً

يومئذ ينبثق ينبوع الشعر في قلب هذا البدوي العاشق المحروم . الأمل ، اليأس ، اللوعة ،

الدمع ، الصبوة ، الأحلام ، وساوس القلب ، ديارها ، زوجها ، أخوها ، الغدر ، الذكريات ،
النظرة الأولى . . . كل هذه أخذت تندفق في خضرات قلبه تحت الضربة الأولى من ضربات
الغيرة المغيظة ، المحنقة ، الحاقدة . مي . . . مي . . . مي . . . هكذا يتردد صدى الضربات
الملحة التي لا تقتر ولا تنقطع . . . مي . . . مي . . . مي . . . صدى يتردد في أذنيه من عن يمينه
وشماله ، قد ملأ عليه أرضه وسماؤه

مي . . . مي . . . وتضرمت الروح باللهب القدسي ، وإنبعثت في عيني « ذي الرمة » تلك
الشعلة الخالدة التي لا يطفئها شيء ، وأكلت النار التي لا تحب كل غشاء كان يحول بينه وبين
مي . . . وإذا الفتى اللاهي جليد « قد حلّمت العشائر » . ويخرج من بلواه . . . من غيرته . . .
من أحقادها ، قد نصب وجهه لهجير الحياة ، فإذا قسماته تتوهج بالعزم ، والصبر ، والمغالبة ،
وفي عينيه تلك النظرة النافذة المتأملّة الساكنة ، ثابتة لا تنهزم
لقد كان أحب فتاة هو عليها — إن شاء — قادر ، وهو اليوم يحب امرأة قد ضمها
خدر بعلمها ، فلا سبيل له عليها . أحب الفتى فتاته ، ولكنه اليوم رجل يحب أنثى قد
تصدى وجودها لوجوده . ذهب الفتى وذهبت الفتاة ، وبقي الرجل والمرأة
أي سرّ عجيب يمس الفتاة اللاهية المتقلبة فإذا هي تستحيل إلى وجود كامل . . . إلى
قلب يسع الدنيا . . . إلى حب ثابت حافل ؟ أي سرّ هذا الذي يحيل عاشقها الفتى إلى قوة
زاخرة منشئة مبدعة متجلية ، لا تقف ولا تتردد ؟ أي سرّ فيها يمنح العين دقة ونفاذاً ؟ أي
سرّ ينفث في البصيرة وعياً مستوعباً لا يضيق ؟ بل أي سرّ هذا الذي يرد إلى العبد حريته
ليزداد في حريته تعبداً للرق ؟

وينظر ذو الرمة فيرى الأسمى قد سبقته بين يديه . فما من شاعر من العشاق إلا قد
ابتلي بمثل ما ابتلي به : امرأة ذات بعل لا سبيل له عليها . أي إذن « المرأة » وحدها
لا الفتاة ؟ أي وحدها التي تحقق له معنى وجوده ؟ فليذهب ليخالس الطرف إلى مي زوج
« عاصم المنقري » . ويركب ناقته « صيدح » ، حتى إذا انتهى إلى ديارها لمح « مينا »
مع الصبح تستقبل النهار

وتجلى بصرع من أراك كأنه من العنبر الهندي والمسك يُصبَح
ذرى أقحوانٍ راحه الليل وارتقى إليه الندى ، من رامة ، المتروح
هجان الثنايا مغرباً لو تبسمت لأخرس عنه ، كاد بالقول يفصح
هي البرق والأسقام ، والهم ، والمنى ، وموت الهوى ، لولا التناهي المبرح
ويعود « ذو الرمة » إلى ديار أهله ، إلى أخيه مسعود ، إلى الذي جعل يركب معه

الفوات ، يطيعه تارة حين يستوقفه على ديار مي ، ويعصيه تارة أخرى ويلومه . ولم يزل ذلك أمره ، يهيم في ديار مي أكثر من عشرين سنة ، ومي لا تزداد في عينيه إلا ملاحظة ، ويتفجر شعره من قلبه ، يشكو ما يلقاه من حبها ، وما يقاسيه من البيد في الحنين إليها والوجد بها . ولا يلقى صاحبته إلا والحي خلوف ، لم يبق في الديار إلا النساء ، فيشكو لها ويتوجع ، فتمسح عنه بعض عذابه . ويردد شعره بين البادية والحضر فلا يزال يعجب الناس ويحسده الشعراء

ويلج الشوق بُذي الرمة يوماً ، فيركب ناقته في ليلة ظلماء يريد أن يضيف « عاصماً النقري » زوج مي ، وهو يطمع في أن لا يعرفه فيدخله بيته ، فيقر به ، فيرى ميًا ، ويتزود من وجهها ، ويكلمها . فلما نزل به فطن له عاصم وعرفه ، فلم يدخله . وأخرج إليه قراه وتركه بالعراء ، فلمحته مية تحت الليل فعرفته . وجعل ذو الرمة يتململ ، فلما كان في جوف الليل تغنى غناء الركبان ببعض شعره :

أراجعة يا مي أيامنا التي
ولو لم يشقني الظاعنون لشاقي
تجاوبن فامتبكين من كان ذا هوى ،
دعاني الهوى من نحو مي ، وشاقي
إذا قلت عن طول التناي قد ارعوى ،
أبي مُنْشَن منه علي رجيع

فغضب عاصم ، وقام إلى امرأته وقال : قومي فصيحجي به وسبيه ، وقولي : أي أيام كانت لي معك « بُذي الرمت » ؟ فأبَت مي وقالت لزوجها : يا سبحان الله ! ضيف ! ! والشاعر يقول : فانتضى عاصم سيفه وقال لها : لأضربك به حتى آتي عليك أو تقولي ! ففزعت وصاحت بُذي الرمة وسبته كما أمرها زوجها . هذا صوت مي ! ! ذهل ذو الرمة ، فلما استقر في سمعه كلامها ، نهض على راحلته فركبها ، وانصرف عنها وعن ديارها مغضباً يريد أن يصرف قلبه عنها إلى غيرها . وعاد إلى ديار قومه مغيطاً يتمزق ، وأبى على نفسه ذكر مي . . . وهيهات وجاء قَدْرُهُ ، فخرج في سفر في بعض أصحابه ، فلما كان بفُلْدَج — في طريق الحاج من البصرة إلى مكة — إذا جوار خارجات من بيت يردن آخر ، وفيهن جارية طويلة ، حسنة ، حلوة ، شهلاء ، بها فَوْهٌ ، فنظر إليها فوقعت في عينه وفي قلبه الغيظ المحنق ، وذكر ميًا فأراد هذه يكيدها بها إذا تناقل الناس ما بينه وبينها ، وما يقول فيها . فأخذ إداوتها فخرقها ، ودنا من هذه الجارية يبتغي حديثها فقال : إني رجل على ظهر سفري ، وقد تخرقت إداوتي فأصلحها . فنظرت إلى عينيه وقالت له تهزأ به : والله ! إني ما أحسن أعمل ، وإني خرقاء ! ! (والخرقاء التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على أهلها) ، فساها يومئذ خرقاء . والطلق يشبب بها ويذكرها

في بعض شعره ، يريد أن يغيظ بذلك ميًا ، فرمى إليها أول ما رمى بيت تداولته الرواة
تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام
جعلها منسكاً من مناسك الحج ، لا يتم إلا به !! ولكنه كان لا يطيق أن يدع ذكر مي
فلم يقل في خرقاء إلا قصيدة أو قصيدتين ، ورجع إلى مي

ثارت نفس ذي الرمة ثورتها على مي ، وقلق ، فاضطرب في البلاد حتى أبعد ، فذهب
إلى أصبهان ، فلم يطق أن يقيم بها فعاد إلى دياره ... صبي مروّع يتفرّع بالليل ، وغلām عاشق
يتزوّد بعينه من مي نظرة بعد نظرة ، وبين جنبه نفس ملتمعة يحرقها الوجد في وقدة
البيد تحت الشمس السافرة ، ثم شاب تاكل الغيرة قلبه ، يشور بالليل والنهار فزعاً إلى مي ،
إلى المرأة التي لا سبيل له عليها إلا بالوساوس والأوهام . إلى أين ومن أين ؟ من البادية ...
إلى الحضر ... إلى البادية .. من الديار ... إلى الاطلال ، ومي تناديه في سرّ روحه فيهبوي
إليها كأنه شهاب تقاذفه الفضاء . فلم يلبث ذلك الشاب القصير ، النحيف ، الخفيف العارضين ،
أن استحال شيخاً شحناً دقيق العظام ، قد براه الحب والضنى ولما يشرف على الأربعين . حتى
إن أمه لتقول ، وقد تحلق الناس عليه واجتمعوا ، فأنكر — من لم يعرفه — دمامته : أيها
القوم اسمعوا إلى شعره ، ولا تنظروا إلى وجهه !!

فلم يلبث ذو الرمة على ذلك أن اشتكى « النشوة » — وهي زيادة تحدث في النحر
كأنها غدة ، تَمُور بين الجلد واللحم إذا حركتها — فوجع بها دهرًا حتى قال :

أَلِفْتُ كلابَ الحمي حتى عرفني ومُدَّتْ نِساَجُ العنكبوت على رجلي

فلما تمائل عزم على أن يخرج إلى الشام ، إلى هشام بن عبد الملك ، فقال لأخيه مسعود :
يا مسعود ! قد أجدني تماثلت ، وخفت الأشياء عندنا ، واحتجنا إلى زيارة بني مروان ، فهل
لك بنا فيهم ؟ فقال نعم ! فأرسله إلى إبله يأتيه منها بلبن يتزوّد به ، وواعده مكاناً . وركب
ذو الرمة ناقته فقصص به ، وكانت قد أعفيت من الركوب ، فانفجرت النشوة التي كانت به .
فلما بلغ موعد أخيه جهد فقال : أردنا شيئاً وأراد الله شيئاً . وإن العلة التي كانت بي قد
انفجرت . فكث أياماً حتى ثقل ، وكان معه من أخواله الحجاج الأسدي فسأله : يا غيلان !
كيف تجدك ! فقال : أجدني والله يا أبا المنى اليوم في الموت لا غداة أقول :

كأني غداة الزُّرْق يا حي مدنف يكيد بنفس قد أحمرّ حمامها

فلما احتضر كان آخر ما قاله :

ياربّ قد أشرفت نفسي ، وقد علمت علماً يقيناً لقد أحصيت آثارني

يا مخرج الروح من جسمي إذا احتضرت ، وفارج الكرب ، زحزحي عن النار

فن مبلغ ميًا منية هذا القلب الذي شب في حبها حتى هَرَمَ قبل حين هَرَمَ ??

تجفيف الطعام

صناعة جديدة عظيمة الشأن
وجزء من خطط الحرب

ان تجفيف الطعام ، أي نزع الماء منه بأساليب شتى ، صناعة جديدة غرضها المقدم الآن ، حربي ، ولكنها تفتح في تاريخ الطعام والتغذية صفحة جديدة
أما كيف يؤثر تجفيف الطعام في سير الحرب فيلخص في قول وزير الزراعة الاميركي كلود ويكرد : كل طن من الماء يستخرج من اللبن الحليب واللحم والبيض والفواكه والخضر ، في منزلة طن من القنابل تلقى على أرض المحور . وكل طن من الماء تمتنع عن نزع من هذه المواد الغذائية ، قد يعني جوعاً لفريق من رجالنا المسلحين أو أبناء حلفائنا
ان الدول المتحدة تحارب الآن حرباً كلية شاملة عالمية النطاق ، ومواصلتها تقتضي تنقل عشرات الألوف من الرجال ومقادير كبيرة جداً من السلاح والعنادر . وهذا التنقل يتم على الاكثر بالسفن مسافات شاسعة . ومهما تكن سفن النقل المتاحة للدول المتحدة وافرة ، فانها لا تكفي لنقل كل ما يلزم . واذن فمواد الطعام الاميركية التي ترسل من أميركا الى جيوشها في القارات الاربع أو الخمس ، والى حلفائها ، يجب أن تحشد في أقل نطاق وأضيق مجال . فليس في هذه السفن مكان للماء يُنقل بغير ضرورة في بحار الأرض السبعة . والى هذه الحقيقة مرّد المصانع الكبيرة التي أنشئت لتجفيف الطعام على مدار الساعة ليل نهار ، ومرّد أخرى كثيرة تنشأ الآن ، في جميع أنحاء الولايات المتحدة الاميركية
في هذه المصانع تعد أصناف من مواد الطعام ، لم ترها ربّات البيوت في الولايات المتحدة ، ولكنها متاحة في المطابخ الانكليزية مثلاً ، وللاجنود الاميركيين والروس وغيرهم . ومتى وضعت الحرب أوزارها ، فسيكون لصناعة تجفيف الطعام نصيب في أعمال السلام والتعمير بعدها ، عن طريق توفير الطعام المغذي للناس ، بثمن يسير في فترة تكون الحاجة فيها الى السفن لا تزال كبيرة

يعلمنا التاريخ ان الحروب كان لها أثر في ارتقاء نواح من صناعات اعداد الطعام . فالحروب النبوليوونية شهدت ابتكار اسلوب لحفظ الطعام في العلب ، والحرب الاهلية الاميركية

أسلوب صنع اللبن الحليب المكثف ، والحرب العالمية الاولى طريقة إعداد اللبن الحليب المبخر . أما الحرب العالمية الثانية فأعظم العناية فيها ، بتجفيف الطعام . فالأميركيون وغيرهم بدأوا يتعلمون ، كيف يستبقون الماء ، عندما يصدرون مواد الطعام .

هل تعلم ان البيضة الجديدة ثلاثة أرباعها ماء ؟ وان اللحم الجديد ثلثاه ماء ؟ وان معظم الخضر والفواكه تسعة أعشارها ماء ؟ اذن لماذا التعرض لجميع المشاق والمخاطر التي تلازم النقل البحري في هذه الأيام ، في سبيل نقل طعام من ثلثيه الى تسعة أعشاره ماء ؟ حتى في قلب الصحراء اللوئية ، لا بد ان يكون نقل الماء من النيل أسهل وأقل خطراً من نقله من حقول الولايات المتحدة أو استراليا

فنقل مواد الطعام المثقلة بما تحتويه من ماء ، لا ينطوي على خطرٍ وتبذير في الطاقة وحسب ، بل يكاد يكون متعذراً الآن . لأن السفن المتاحة لاتكفي لنقل كل ما تحتاج اليه القوات المسلحة في شتى ميادين القتال . ولولا صناعة التجفيف ، لكانت أكداس الطعام في حقول أميركا وعلى أرصفة مرافئها ، بغير جدوى للشعوب التي تحتاج اليها . أما الجيوش التي ترسل الى بلدٍ غير بلدها ، فتنقل معها عادة مقادير من مواد الطعام ، تكفيها ستة أشهر . ومعظم هذا الطعام في ما يتعلق بالجيوش الاميركية — على قول ويكرد — سيكون طعاماً مجففاً . واذن فتجفيف الطعام تقدّم تقدماً مطرداً حتى غداً عنصراً أصيلاً من عناصر الخطط الحربية العامة . ففي مايو من سنة ١٩٤١ عندما بدأت الولايات المتحدة تطبق قانون « الاقراض والتأجير » على الطعام المرسل الى بريطانيا ، كانت شحنات الطعام الاولى التي أرسلت اليها ، تحتوي على لحم محفوظ في علب ، وبيض في قشره ولبن حليب مبخر . فالبريطانيون كانوا في حاجة الى هذه المواد ، وهذه المواد كانت مركزة تركيزاً كبيراً بحسب المقاييس المعروفة والسائدة حينئذٍ

ولكن بعض الطعام يصيبه الفساد في الطريق ولا سيما البيض . ويروى ان شحنة سفينة كاملة من البيض الجديد فسدت لأن السفينة تأخرت في وصولها الى المرفأ البريطاني ، وكان الوقت صيفاً والحرارة عالية في باطن السفينة

على ان مشكلة ما يفسد من اصناف الطعام ليست شيئاً مذكوراً بالقياس الى ضرورة توفير المكان في سفن النقل ، لنقل اشياء اخرى . فالبيض المجفف لا يستغرق الا ربع المكان الذي يستغرقه البيض الذي في قشره . وتجفيف الخضر يخفض المكان الذي تشغله خفضاً يتفاوت بين نصف حجمها وجزء من خمسة عشر جزءاً منه . واللبن المجفف لا يشغل الا ربع مكان اللبن المبخر . وعلى المعدل لا تشغل الاطعمة المجففة الا سدس المكان الذي تشغله الاطعمة

نفسها قبل تجفيفها . ثم إن الاطعمة المجففة لا تحتاج الى تبريد . ومنها ما لا يلزم وضعه في علب من « صفيح » . وهذه مسألة لها خطرهما الحربي ، لأن الصفيح من المواد اللازمة في الصناعة الحربية . اما ما يلزم وضعه في علب صفيح منها ، فمقدار الفلز الداخل في صنع علبه ، اقل من الفلز الداخل في صنع العلب المألوفة

ويقول وزير الزراعة الاميركية ، إن على مكتبه احقاقاً زاجية تحتوي نماذج من هذه الاطعمة المجففة . وكثيراً ما سأله زواره فيها فكان يقول : هنا لحم مجفف وهو أشبه ما يكون بقطع صغيرة رقيقة من البطاطس المقلو . وهنا مسحوق أبيض هو اللبن المجفف ، وهناك مسحوق أصفر ، هو البيض الكامل محبباً وزلالاً بعد تجفيفه . وهناك شيء أخضر يشبه عشب البحر ، هذا هو اللوبياء المجففة

وتجفيف الطعام ليس جديداً في تاريخ العمران بل هو قديم قدمه ، ولكن التجفيف الحديث يختلف عن التجفيف القديم في أمرين . اما الاول فهو ان الاطعمة المجففة بالاساليب الحديثة أجف كثيراً من الاطعمة المجففة بالشمس والهواء . فالتجفيف بالشمس والهواء كان يقي في الطعام المجفف ربع ما كان فيه من ماء على الأقل . ولكن أساليب التجفيف الحديثة تعتمد على درجات عالية من الحرارة ، ودفع تيارات من الهواء الساخن ، واستعمال الفراغ أحياناً . وهذه الاساليب تخفض معدل الرطوبة في الطعام المجفف الى ثلاثة في المائة من اصلها . وخفض الرطوبة الى هذا المستوى ، يحقق أمرين أحدهما ان حفظ الطعام يكون أتم ، وثانيهما ان السكان الذي يشغلونه يكون أقل

هذا من ناحية التجفيف نفسه اي من ناحية مقدار الماء الباقي في الطعام المجفف او مقدار الماء المزال منه . اما الفرق الآخر ، فهو ان معظم الاطعمة المجففة بالاساليب الحديثة ، تعود الى اصلها عند نقعها في الماء . اي ان صب الماء عليها يعيد الحياة اليها

وقد روى الوزير ويكر ما رآه بعينه من هذا القبيل فكان على قوله ، كأنما يرى عجيبة . ونشر في المقال الذي نلخص عنه هذه الصفحات ، صوراً كثيرة شمسية ملونة ، ترى فيها الطعام وهو مجفف ، ثم بعد بلبه واعداده في أطباق الطعام ، والصور مصداق لما يقول

على ان الاطعمة المجففة ليست جميعاً في حاجة الى البل ، لأن عودتها الى حالتها الأصلية ليست ضرورة لا مفر منها . فقد صنعوا مثلاً ألواحاً كألواح الشكولاته ، من الشمش والقراصيا والرطب (البلح) والعنب المجفف المضغوط ، وهذه الألواح توضع في جارية الطوارئ التي يجهز بها جنود الهاباطات ومن على شاكلتهم

وأهم من عودة الاطعمة المجففة الى حالتها الأصلية بعد بلها او نقعها ، احتفاظها

بعناصرها الغذائية ونكهتها. فاللبن الحليب المقشود المجفف يحتوي على جميع المواد الصلبة التي يحتوي عليها اللبن العادي ما عدا قشده. ويحتفظ بقيمته الغذائية الاصلية. واللبن الكامل المجفف يحتفظ بقيمته الغذائية الاصلية اذا استثنينا فيتامين C ولما كان هذا الفيتامين ليس ضرورياً في اللبن ففقده ليس شيئاً خطيراً. والبيض المجفف من ناحية الغذاء كالبيض الجديد ويعتقد علماء وزارة الزراعة الاميركية ان الخضار المجففة تحتوي بوجه عام على نفس المقادير التي تحتوي عليها الخضار الغضة من البروتين والكربوايدرات والمعادن. ومنها ما يحتوي أكثر من ذلك. فطائفة من الخضار لا تكون غضة تماماً عند ما تشرى في السوق. فمقدار الفيتامين الذي فيها يكون قد نقص. ولكن مصانع التجفيف تحفف الخضار بعيد جنبها وقبل نقص مقدار الفيتامين الذي فيها فتحفظ به.

فقليل من الكاروتين مثلاً يفقد في التجفيف. وما يفقد من كلوريد الثيامين (فيتامين ب_١) لا يزيد على ١٨ في المائة. وقد لا يبلغها، وما يفقد من الريبوفلائين (فيتامين ب_٢) في الجزر والكرونب لا يزيد على الثلث. أما البطاطس فلا يفقد شيئاً. وما تفقده الخضار المورقة من الحمض الاسوريك (فيتامين C) بالتجفيف لا يزيد على نصف ما تفقده منه اذا بقيت يومين أو ثلاثة أيام في الدكان قبل بيعها.

فواضح أن فيتامين C من الفيتامينات التي يعسر الاحتفاظ بها على كل حال. ولكنه ضروري الضرورة كلها في عصير البرتقال المجفف لأن هذا العصير يفقد أهم جانب من قيمته الغذائية اذا فقد هذا الفيتامين، فهو يُطلب لما فيه من فيتامين C. ومع ذلك تمكن العلماء من استنباط طرق لتحضيره محتفظاً بمعظم هذا الفيتامين. وعصير البرتقال المجفف لا يشغل الا عشر المكان الذي يشغله العصير السائل. وعند ما يحل في الماء يعدل عصير البرتقال الغض لذة ونكهة وفائدة. والاطفال في انكثرا يستطيعونه.

أما اللحم المجفف فلم تبلغ دراسته الغذائية مبلغاً يصح الوقوف عنده. ولكن العلماء ماضون فيها. الا ان هناك مسألة واحدة كانت حتى الآن مستأثرة بعنايتهم وهي هل اللحم المجفف سليم من ناحية المرض. وعند ما بدأت شحنات الطعام ترسل الى بريطانيا بحكم قانون الاقراض والتأجير، اشتد الطلب على اللحم المجفف ولكن قسم البحث الزراعي بوزارة الزراعة الاميركية، فضل تأجيل ذلك أسابيع، الى ان تتاح الفرصة لعلمائه لامتحان اللحم المجفف الذي مضى شهران على تجفيفه وخزنه. فلما ثبت انه سليم وافقوا على اصداره. ولكنهم رغبة في ضمان سلامته، يطلبون من طاهي هذا اللحم المجفف ان يغليه اغلاء تاماً لاجتناب كل احتمال تلوث ميكروبي.

والبحث ماضٍ في طريقه ولا سيما في اللحم الذي مضى على تخزينه أكثر من شهرين أما أساليب التجفيف فتختلف . فتجفيف اللحم مثلاً يتم بالقاء قطع من لحم البقر على اسطوانتين ساختين دائرتين والمسافة بينهما ثمن بوصة واحدة . فيشوى سطح القطع عند مسّها سطح الاسطوانة الساخنة ، ودوران الاسطوانتين في اتجاهين مختلفين يسحق قطع اللحم بينهما فتتسطح وتصبح رقعاً صغيرة ثم تسقط في طبق كبير بعد قشطها ويكون نصف مائها قد زال . ثم تؤخذ الأطباق وتوضع على رفوف خزانة يدور فيها هوائ ساخن فلا تنقضي ساعة حتى يكون الماء الذي في اللحم قد هبط إلى ٥ في المائة وتكون رقع اللحم قد غدت جاهزة لوضعها في العلب

البداً بسيطاً كما يبدو من الوصف المتقدم . ولكن التطبيق ليس يسيراً ويجب أن يكون خاضعاً لإشراف عامي صناعي دقيق . فحرارة الاسطوانتين الدائرتين يجب أن تكون ١٧٠ درجة مئوية ، ومعدل الدوران يجب أن يكون مضبوطاً دقيق الضبط ، وحرارة الهواء الساخن الذي يدور في الخزانة يجب أن تكون ٦٥ درجة مئوية ، وقطع اللحم التي تلتقي بين الاسطوانتين يجب أن تكون من حجم معين . والمسافة بين الاسطوانتين يجب أن لا تزيد ولا تنقص عن ثمن بوصة . فإذا كانت قطع اللحم أكبر من الحجم المعين ، عجز الهواء الساخن عن تجفيف باطنها . وإذا كان الهواء أسخن مما يجب جفّ سطح القطعة وتيبّس ومنع رطوبة باطن القطعة من التبخر والخروج

ومن الأساليب المتبعة توليد فراغ جزئي ، فيجفف اللحم حينئذٍ على درجات من الحرارة دون الدرجات التي تقدم ذكرها في الأسلوب الأول

والغريب أن اللبن يمكن تجفيفه بأسلوب كأسلوب الاسطوانتين . ذلك بأن حرارة الاسطوانة تحفف اللبن قبل أن يسيل إلى أسفل . وهناك طريقة أخرى لتجفيف اللبن وهي رشه رذاذاً في أعلى حجرة خاصة أعدت لتجفيف الرذاذ ، بحركة هواء ساخن فيها يحفف قطرات الرذاذ ، ثم تسقط القشور الجافة في قعر الحجرة . وهذا النوع من اللبن المحفف تسهل اعادته لبناً سائلاً بإضافة الماء وتحريكه بملقعة . ولذلك تفضله الأسر الانكليزية .

والبيض يحفف معظمه بطريقة الرذاذ ومنه ما يحفف بكسر قشره ووضع في صوان في حجر يدور فيها هوائ ساخن ، أو بمد البيض غشاءً رقيقاً على سير متحرك في حجرة ساخنة . أما الخضراوات فتنجف بغير أسلوب واحد ، ولكن أعملها قائم على وضع الخضراوات في صوان ثم تحريكها في نفق ينفخ فيه تيار من الهواء الساخن

وقد حسب الحساب أن مصنعاً واحداً للتجفيف يستطيع في يوم واحد أن ينزع من

الاطعمة التي تجفف فيه ، قدراً من الماء يفوق وزنه وزن الفلزات التي دخلت في انشاء المصنع . وحسب غيرهم ان نصف الفلزات اللازمة في بناء سفينة نقل متوسطة ، يكفي لانشاء مصنع تجفيف يزرع من مواد الطعام المجففة فيه سنتين ، قدراً من الماء يعدل شحن ٨٧٥ سفينة مثلها وقد اتسع نطاق هذه الصناعة في الولايات المتحدة اتساعاً عظيماً سريعاً . ففي سنة ١٩٤٠ كان وزن البيض المجفف سبعة ملايين ونصف مليون رطل . فبلغ في اواخر سنة ١٩٤٢ ثلاثمائة مليون رطل على المعدل . وتضاعف في خلال هاتين السنتين ما يجفف من اللبن المقشود . اما الخضار المجففة فزادت من ستة ملايين رطل الى اثنين وعشرين مليون رطل ان المقام الأول الآن في صناعة تجفيف مواد الطعام لضرورات الحرب . وسيكون المقام الأول فيها بعد الحرب لضرورات الغوث والتعمير . فالحاجة الى الطعام في شتى أنحاء الأرض ستكون عظيمة والحاجة الى السفن كذلك . والطعام المجفف يوفق بين الحاجتين ويتيح للشعوب التي استبدت بها ضرورات الحرب ، مقادير وافرة من الطعام المغذي في أقل متسع من سفن النقل . ولا ريب في أن مزايا هذه الصناعة الجديدة ستكون خلال فترة الغوث والتعمير وبعدها ، من أمضى الأسلحة المستعملة لتحرير الناس من الناقة والجوع

ابتهال

للشاعر الأميركي أدون ماركم

علمني أيها الأب أن أسير متنداً كما تنمو الأعشاب . أنزل السكينة على قلبي حتى يثبت كالصخر الأصم ، لصدمات العالم المفتون . وليكن له في احتدام قوته رفة الزهرة . ودع هذا القلب الظامى يترع كأسه ليستقبل السماء في بشر الشقيق الريان . وإذا ما أفعم القلب رياناً ، ودبت الحياة الجديدة فيه ، فليحمل تاجه في وداعة الشقيقة الموقرة بالندى

علمني أيها الأب أن أمنح عطفي دون ملل ، كما تمنح الشجرة ظلها للعابرين ، هذا الظل الذي يشيع روح الطرب في الجنادب الغردة في الظهيرة ، وتستروح بنسماته العلية هذه الحشرات الدؤوبة في رحلة الحياة . فدعني إذا أنشر البهجة والهناء على ماحولي ، من مراعي فسيحة وشعاب نائمة ، كما تنشر تلك الشجرة الحانية ظلالها ، فتفيء إليها الأرواح العابرة المتعبة لحظات ، أفرغت فيها الحياة كل صفوها وجمالها

الحياة العلمية في مصر

بعد ربع قرن



للدكتور علي بك مصطفى مشرفة
عميد كلية العلوم

العلم رائد

— ٢ —

ونحن في مصر شيدنا جامعة على النمط الأوروبي الحديث ، فعلمينا أن نحفظ لها بحريتها وان نكفل لها نظامها ومن الصعب بل لعله من المستحيل على من لم يتعلم تعليماً جامعياً أن يفهم حقيقة النظم الجامعية فالنظام الجامعي كأي نظام آخر لا يعرفه إلا من خبره وتقوم الجامعات بنصيب وافر في تقدم العلم ، فلاستاذ في الجامعة يشعر ان اول واجب عليه متابعة البحث العلمي ويضع هذا الواجب فوق واجباته الاخرى كإلقاء الدروس وتنظيم الدراسات وما إليها . وجميع أساتذة الجامعات أعضاء في المحامع والجمعيات العلمية المختلفة كل في دائرة تخصصه ولا يقتصر الاستاذ على متابعة أبحاثه الخاصة بل عليه أن يكون ملهماً لغيره ممن هم دونه في المرتبة العلمية ومشرفاً على بحوثهم ومرشداً لهم ولذلك لا يصل الاستاذ الى كرسي الاستاذية إلا بعد ان يثبت قدرته على البحث العلمي المبتكر وعلى إرشاد غيره فيه فاعضاء هيئة التدريس في كل فرع من فروع العلم يؤثفون اسرة ، رئيسها الاستاذ صاحب الكرسي تعمل كوحدة متماسكة في ميدان البحث العلمي يسترشد صغيرها بكبيرها ويتعاون الجميع على البحث والابتكار

وميدان التنافس بين الجامعات هو ميدان البحث ، والتفاضل بين الجامعات إنما يكون على أساس إجادة كل منها في هذا الميدان ، فليست الجامعة باتساع مبانيها ولا بوفرة عدد أساتذتها ولا بكثرة طلابها ، بل برفعة شأنها العلمي بين نظيراتها ، وإذن فعلمينا في ربع القرن الآتي أن نحفظ لجامعتنا بمقامها العلمي ، وأن نعمل على رفع شأنها في ميدان البحث والابتكار وألا نسمح لمستوى أساتذتها العلمي بأن ينخفض ، قيد أنملة عما يجب أن يكون عليه على أن الجامعة ، وإن أمكن تصورها مجموعة من الأساتذة والباحثين إلا أن لها ناحية

أخرى لعلها أبرز في نظر الجمهور وأوثق ارتباطاً بالحياة اليومية ، وهي ناحية كونها مدرسة لتثقيف النشء وإعداده . فالنشء يطلب العلم وهو يطلبه كغاية كما يطلبه كوسيلة . وعلينا أن نجيبه إلى طلبه ، والجامعات الحديثة تنظم الدراسات المختلفة وتنوعها وتراعي في عملها هذا إعداد النشء لنواحي الحياة وضروبها ، وليس في مقدور أمة اليوم أن تحتفظ بمقامها بين الأمم إذا هي لم تعمل على إعداد نشئها إعداداً علمياً صحيحاً ، ومن الخطأ كل الخطأ أن نصرف الشباب عن العلم أيّاً كانت حاجتنا في ذلك ، فالعلم خير محض ، وهو إلى هذا كما يقول الانكاي : قدرة تمكن صاحبها من تذليل الصعاب ومقابلة الاحداث . والتعليم العالي لا يجوز قصره على غرض واحد هو التبحر في العلم والابتكار فيه فان هذا إنما يتاح للأقلية الضئيلة ممن يتعاملون تعليمياً عالياً

أما الأغلبية الساحقة فيجب ان تنوع لها الدراسات التي تمكنها من العمل المنتج في شتى المرافق ، فالزراع والتاجر والصانع والطبيب والمهندس في حاجة إلى العلم ليتمكنوا من النهوض بواجبهم

وإذا لم يتسع التعليم الجامعي لجميع هؤلاء فيجب إنشاء مدارس عليا تتولى تثقيف النشء في هذه السبل المختلفة وكثير من الجامعات الاوربية الحديثة نشأت كمدارس عليا تخدم أغراضاً خاصة ، فجامعة ردينج نشأت كمدسة عليا للزراعة ثم تطوّرت وارتفع شأنها حتى صارت جامعة تمنح درجات وتتنافس مع غيرها في ميدان البحث العلمي . وفي النظام المتبع في القارة الاوربية تتولى مدارس فنية عليا تسمى Technische hochschule « تكنشه هوخشوله » إعداد النشء لجميع الاعمال الفنية والهندسية

وفي لندن السكينة الامبراطورية للعلوم والتكنولوجيا وهي من أضخم معاهد لندن وأغناها وهذه يعدّ فيها الطلبة في الهندسة الكهربائية والبناء والتعدين والكيمياء الصناعية وعدد آخر وفير من الصناعات ويمنحون شهادات بآتمام دراستهم دون أن يحصلوا على درجة جامعية . وفي هذه السكينة الامبراطورية نجد الطالب الذي يقوم بهذه الدراسات الفنية جنباً الى جنب مع الطالب الذي يدرس للحصول على درجة جامعية . وسواء اتبعنا في مصر هذا النظام المشترك الموجود في لندن أم اتبعنا نظام القارة الاوربية في الفصل بين الجامعات والمدارس العليا الفنية فلا شك في أن علينا أن نسلك هذا السبيل وان نحل هذه العقدة التي صارت مشكلة من مشكلاتنا القومية

ورأي أن إنشاء مدارس عليا مستقلة مع احتمال تطوّر بعضها أو تطورها جميعاً في المستقبل لتكون كليات جامعية هو الحل الذي يناسب حالتنا الخاصة إذ اننا نستطيع بهذه الطريقة المحافظة

على مستوى عالٍ في البحث والابتكار العلمي للجامعة دون أن نصدّ الشباب عن التعليم العالي وهذا الموضوع ينقلنا بطريقة طبيعية إلى ناحية أخرى من نواحي مستقبل الحياة العلمية. أشرت في أول حديثي أن الغرض من العلم واضح وهو المعرفة، وأن العلم يطلب الحقيقة لذاتها، ولكن الحياة العلمية في كل أمة تصل إلى أبعد من هذا، فقد يما قليل علم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، والتبحر في العلم والابتكار فيه كما قدّمت إنما يتاح للأقلية الضئيلة. أما الأغلبية الساحقة فتطلب العلم كوسيلة لا كغاية، وليس في هذا خفض من شأن العلم ولا أساس بمقامه، فالعلم منشأ لذة فكرية في ذاته وهو أيضاً قوة لحل المشكلات البشرية، فلذته وقيمته مضاعفتان

والحياة العلمية بيننا يجب أن تشمل هذه الناحية التطبيقية للعلوم. وكما أنه من الخطأ أن يقتصر تفكيرنا العلمي على الناحية المادية فكذلك من الخطأ أن يقتصر على الناحية الأكاديمية، بل أني لا أعدو الحقيقة إذا قلت أن مستقبل مصر في الجيل القادم وما بعده سيبنى على مقدار نجاحنا في إنشاء الروابط المتينة الحية بين العلوم البحتة والعلوم التطبيقية أو بين العلم والعمل، ولهذا يجب إنشاء هيئة أو أكثر من هيئة لتوثيق هذه الروابط فمن ناحية نجد الصناعات في مصر في حاجة قصوى إلى الفنيين لحل مشكلاتها الخاصة. ومن ناحية أخرى نجد الشباب في مرحلة التعليم العالي يطالب المجتمع بعمل مفيد يؤديه، وقد كنا إلى عهد قريب نستقدم خبراء أجانب كلما أردنا حل مشكلة من مشكلاتنا الصناعية فدبغ الجلود في حاجة إلى خبير أجنبي وصناعة الزجاج في حاجة إلى خبير أجنبي والصناعات الأخرى جميعاً كذلك، وهذا الخبير الأجنبي كيف نشأ وكيف أعد؟ ستجدون أنه في جميع الأحوال قد تعلم تعليماً عالياً ثم طبق علمه على ناحية من نواحي الصناعة، ونحن نوافق على إنشاء صناعات متعددة بين ظهرائنا. وفي كل صناعة من هذه الصناعات مشكلة أو مشكلات متعددة تتطلب الحل. والشباب يتعلم العلم فالتنطق يقضي بالجمع بين هذين الطرفين. وقد صدر مرسوم منذ أمد قريب بإنشاء معهد لهذا الغرض يطلق عليه اسم الغفور له الملك فؤاد. ومنذ صدور هذا المرسوم لم يحدث شيء جدي إلى حد علمي لتحقيق الغرض المنشود منه. والمسألة في ذاتها ليست معضلة من المعضلات فهي لا تعدو الجمع بين العلم والصناعة. وفي كل أمة متحضرة نجد إلى جانب البحث العلمي البحث بحثاً من نوع آخر يسمى البحث العلمي الصناعي أو التطبيقي فكل مصنع من المصانع الكبرى به قسم خاص لبحث مشكلات الصناعة التي يزاولها وبه معامل وعلماء متخصصون يتفرغون لحل المسائل التي تنشأ في هذه الصناعة. فكم أن تقدم العلم أساسه البحث كذلك تقدم الصناعة أساسه البحث أيضاً. ومن

الخطأ كل الخطأ أن يظن أن في استطاعتنا الاعتماد على غيرنا في حل مسائلنا الفنية الصناعية . صحيح اننا نستطيع أن ننقل من غيرنا الكثير من أصول الفن والصناعة ولكن المشكلات الصناعية التي تنشأ عندنا والتي تتطلب الحل لا مفر من الاعتماد فيها على مهملنا نحن . فالظروف تتغير من بلد الى آخرى ونتائج البحث الصناعي ليست كنتائج البحث العلمي منشورة للجميع بل انها تحاط بسياس من النكتم فاذا نجحت وصارت لها قيمة اقتصادية أحيطت بسياس من الحقوق القانونية . وكثير من مشكلاتنا الصناعية خاص بنا كاستخراج الثروة المعدنية الذي يرتبط بجيولوجية أرضنا وكصناعاتنا الزراعية التي ترتبط بأنواع محاصيلنا وبظروفنا الاقتصادية

وفي رأيي انه يمكن البدء في تحقيق هذا الغرض بدءاً متواضعاً بتخصيص مبلغ غير كبير من المال للبحث الصناعي ، فالشباب بعد أن يتم تعليمه العالي الأكاديمي يوجه نحو البحث الصناعي في معمل خاص أو في معاملنا الحالية يرشده في ذلك أساتذة متخصصون وإذا نجحت هذه التجربة واقتنع أرباب الصناعات في مصر بفائدة هذه البحوث كان في الوسع تخصيص مبالغ أكبر لهذا الغرض . وفي أوروبا يخصص أرباب الصناعات مبالغ طائلة للبحوث الصناعية لاقتناعهم بفائدتها بل ان بعضهم ليخصص أمواله للبحوث العلمية البحتة لاقتناعهم بأن تقدم العلوم البحتة هو أساس التقدم الصناعي ، فمثلاً نجد « السير ألفريد يارو » وهو قطب من أقطاب الصناعات في إنجلترا يمنح الجمع البريطاني في لندن مبلغ مائة ألف جنيهه ليصرف ريعه في البحث العلمي البحت ، وتقدر الأموال التي يخصصها أرباب الصناعات في انكلترا وأميركا للبحث العلمي بمئات الملايين من الجنيهات

ولابد من الإشارة الى ناحية أخرى من نواحي حياتنا العلمية يجب علينا أن نتمهدها بالعناية في السنين القادمة ، هي ناحية التأليف العلمي وأقصد بالتأليف العلمي تدوين العلوم باللغة العربية بحيث تصبح لغتنا غنية بمؤلفاتها في مختلف العلوم . ولاشك في أننا في أشد الحاجة الى كتب عربية في كل فرع من فروع العلم في حين نجد كل لغة من اللغات الحية غنية بكتبها ومؤلفاتها العلمية تنفرد اللغة العربية بفقرها المدقع في المؤلفات العلمية ، ولا أظنني أعدو الحقيقة اذا قلت انه لا يكاد يوجد كتاب واحد في أي فرع من فروع العلم يمكن عدّه مرجعاً أو حجة . والكتب التي تظهر يكون مستواها عادة منخفضاً لا يزيد على مستوى التعليم الثانوي أو المرحلة الأولى من التعليم العالي ، وهذا الأمر جد خطير فأننا

إذا لم ننقل العلوم الى لغتنا ولم ندونها بقينا عالة على غيرنا من الأمم وبقيت دائرة العلم في مصر محصورة في النفر القليل الذين يستطيعون قراءة الكتب الأجنبية العلمية وفهمها . وحالنا اليوم تشبه ما كانت عليه حال العرب في القرنين الثامن والتاسع أو ما كان عليه حال أوروبا في القرون الوسطى فالعرب تذهبوا الى ضرورة نقل علوم الاغريق الى اللغة العربية فقام الخلفاء والأمراء بتشجيع العلماء على الانقطاع الى النقل والتأليف . ولعلكم تذكرون المكتبة الكبرى في أيام الخليفة المأمون التي كانت تعرف بخزانة الحكمة وإن كثيراً من علماء ذلك العصر كانوا منقطعين اليها يشجعهم على ذلك ما تحلى به المأمون من الرغبة في العلم وتقريب أهله وأدناهم وبسط كنفه لهم ومعونته إليهم . وقد كان من نتيجة هذا كله ان صارت اللغة العربية لغة العلم والتأليف وبقيت محتفظة بسيادتها العلمية على لغات الأرض جميعاً عدة قرون . ونحن إذا شئنا أن نعيد الى لغتنا مجدها العلمي علينا أن نعنى بتشجيع التأليف والتدوين والنقل ، وعلى الدولة ألا تضن بالمال الواجب انفاقه في هذا السبيل . ومن الممكن البدء في هذا العمل فوراً بميزانية سنوية لا تتجاوز بضعة الألوف من الجنيهات وهو لعمري مبلغ صغير اذا قيس بالنتائج الهامة التي تنجم عن صرفه ، والطريقة المثلى لذلك هي ان تعهد الدولة الى القادرين من العلماء في كل فرع من فروع العلم بنقل الكتب العلمية وتأليفها وأن تتولى الدولة طبع هذه الكتب ونشرها ولا يجوز ان يترك الأمر للمجهود الفردي بل لا بد من تضافر العلماء وتعاونهم في هذا السبيل فكل كتاب ينقل او يؤلف يجب ان تقوم عليه لجنة تجمع خيرة من تخصصوا في موضوع الكتاب . ولا يخفى ما في هذا العمل من مشقة كما أنكم تدركون ماله من ارتباط بتطور اللغة العربية العلمية ومصطلحاتها . والتأليف العلمي هو الوسيلة الطبيعية لتوليد هذه المصطلحات في لغتنا فكل لغة حية انما تنمو عن طريق التأليف والكتابة واللغة العلمية وليدة التفكير العلمي . والمصطلحات العلمية في اللغات الأوروبية انما نشأت بهذه الطريقة ونتجت عن نمو العلم والتأليف ومن العيب ان يقوم مجمع بفرض المصطلحات على المؤلفين فرضاً وانما تأتي مهمة المجمع بعد مهمة المؤلفين لا قبلها فالمجمع اللغوي يجمع ما ورد في الكتب العلمية من مصطلحات أو يدونها ويفسرها . على أنه لما كان الأمر مرتبطاً كما قدمت بتطور لغتنا ونموها فان من الواجب ان يكون في كل لجنة من اللجان التي يعهد اليها في التأليف عضو متضلع من اللغة العربية وأساليبها حتى تخرج اللغة العربية سليمة وحتى ترتبط لغة التأليف العلمي بلغة الأدب ارتباطاً طبيعياً مثمراً ، ولكي أقيم الدليل على مبلغ ما وصلت اليه اللغة العلمية في العصر العربي من جمال في الأسلوب وسلامة في العبارة سأقرأ نبذة من مقدمة محمد ابن موسى الخوارزمي لكتابه في الجبر

والمقابلة ، وهو الكتاب الذي وضع فيه الخوارزمي أسس علم الجبر فخلد بذلك اسمه في تاريخ العلوم قال : —

« ولم يزل العلماء في الأزمنة الخالية والامم الماضية يكتبون الكتب مما يصنفون من صنوف العلم ووجوه الحكمة نظراً لمن بعدهم واحتساباً للأجر بقدر الطاقة ورجاء ان يلحقهم من أجر ذلك وذخره وذكره ويبقى لهم من لسان صدقه ما يصغر في جنبه كثير مما كانوا يتكلفونه من المؤونة ويحملونه على أنفسهم من المشقة في كشف أسرار العلم وغامضه ، إما رجل سبق الى ما لم يكن مستخرجاً قبله فورثه من بعده ، وإما رجل شرح مما أبقى الأولون ما كان مستغلقاً فأوضح طريقه وسهل مسلكه وقرب مأخذه ، وإما رجل وجد في بعض الكتب خلافاً فلم شُعبه وأقام أوده وأحسن الظن بصاحبه غير راد عليه ولا مفتخر بذلك من فعل نفسه ». أفليس هذا الأسلوب مع دقة العلمية أسلوباً جميلاً سهلاً جديراً بأن نتوخاه ونفسج على منواله ؟ ثم اسمعوا الى عبارته في العدد : —

« واني لما نظرت الى ما يحتاج اليه الناس من الحساب وجدت جميع ذلك عدداً ووجدت جميع الأعداد إنما تركبت من الواحد ووجدت جميع ما يلفظ به من الأعداد ما جاوز الواحد الى العشرة يخرج مخرج الواحد ثم تثني العشرة وتثلث كما فعل بالواحد فتكون منها العشرون والثلاثون الى تمام المائة ثم تثني المائة وتثلث كما فعل بالواحد والعشرة الى الألف ثم كذلك تردد الألف عند كل عقد الى غاية المدرك من العدد »

وهكذا كان التأليف العلمي يجمع بين وضوح العبارة وسلاستها ، بين منطق العلم وروعة الأدب . لهذا أرى أن يختار المؤلفون على قدر الإمكان ممن يحسنون صناعة اللغة فإذا تعذر ذلك اشترك معهم من يعاونهم في ذلك

وموضوع التأليف العلمي وارتباطه بحياتنا الفكرية إنما هو جزء من موضوع أوسع وأعم ألا وهو العلاقة بين حياتنا العلمية الماضية والمستقبلية وهو موضوع الأسس التي يجب أن نبني عليها صرح مجهودنا العلمي . فالحياة العلمية في كل أمة عنصر هام من عناصر ثقافتها العامة . وكما ان الأمة المتحضرة تكون لها ثقافة أدبية ترتبط بتاريخها وتتجسم في لغتها ويكون عنواناً عليها ذلك التراث الخالد من شعر شعرائها ونثر كتابها ، وكما أن الأمة المتحضرة أيضاً تكون لها ثقافة فنية تتمثل فيما أبدعته أيدي فنانيها في مختلف عصور تطورها من تلك الرموز المموسة على المشاعر الخفية تلك الرسائل المهمة التي تنبعث عن قلب الفرد فتصل الى قلب الأمة وربما تعدته الى قلب الانسانية ذاتها ، أقول كما أن الأمة

المتحضرة تكون لها هذه الثقافة الأدبية وتلك الثقافة الفنية وغيرها من ثقافة خلقية ودينية وسياسية وما إليها ، كذلك تكون للامة المتحضرة ثقافة علمية ترتبط بتاريخ التفكير العلمي فيها وتحتوي ما ابتكرته عقول أبنائها من الآراء والنظريات العلمية وما وصلت اليه من الكشف في سائر ميادين البحث العلمي وما نقلته وهذبتة واستساغته من آراء غيرها مما دخل في صلب المعرفة البشرية على مرّ العصور والاجيال . وحياتنا العلمية في حاجة الى أن تتصل بماضينا فتكسب بذلك قوة وحياة وإلهاماً . ونحن في مصر اليوم ننقل المعرفة عن غيرنا ثم نتركها عائمة لا تمت بصلة إلى ماضينا ولا تتصل بتربنا فهي بضاعة أجنبية عليها مسحة الغرابة ، غرابة في اللفظ وغرابة في المعنى ، وإذا عبر عن المعاني بفألفاظ مخيفة يفر منها الفكر وترتبك أمامها التخيلة ، وفي الخمس والعشرين سنة القادمة وما بعدها يجب أن نعمل على تغيير هذا الحال ، فأولاً يجب أن ننشر الكتب العلمية التي وضعها العرب ونقل عنها الافرنج ككتب الخوارزمي وأبي كامل في الجبر والحساب وكتب ابن الهيثم في الطبعة وكتب البوزجاني والبيروني والبتاني وغيرهم كثيرون من قادة التفكير العلمي وعظماء الباحثين المدققين

هذه الكتب موجودة الآن ولكن أين ؟ انها محفوظة في مكاتب ومتاحف في مشارق الارض ومغاربها يعرف عنها الافرنج أكثر مما نعرف ، ويتولون ترجمتها وشرحها والتعليق عليها وينشرون هذا كله بلغات اجنبية في مجلاتهم العلمية ، وما أجدرنا بأن نكون نحن القائمين على ذلك ، وثانياً يجب أن نعني بتمجيد السلف من علمائنا وباحثينا فيكون لنا في ذلك حافز للاقتداء بهم وتبعية خطاهم . وقد بذلت بعض الجهود في هذا السبيل في السنين الاخيرة فأقيم حفل لتخليد ذكرى ابن الهيثم ونشر كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة وعلينا في السنين الآتية أن نعزز هذه الحركة وان ننظمها ، فالتأليف العلمي وإحياء كتب العرب وتمجيد علماءهم أمور ثلاثة يجب أن تدرج في جدول أعمال حياتنا الفكرية في المستقبل القريب

هذا بعض ما عنّ لي في موضوع حياتنا العلمية في الخمس والعشرين السنة القادمة ، وهو كما قدمت إنما يمثل السياسة التي أرى ان نتبعها . أما نجاحنا أو إخفاقنا فأمر لا أتعرض له وقد ذكرت خبر إخفاقنا في مجهودنا العلمي في القرن الماضي ، فلعلّ حظنا في هذه المرة يكون أسعد وسيلنا يكون أرشد والسلام

حرقة

إمض عن شأني الطريح على مسلك زلق
لا تسأل عن شكاته سر تطيبه سرق
لا تظنن ما به شرّق اللهو بالحُمُق
إنّ سكرًا سما بقلبي الفقى خدر النرق
صبّ في كوبي الغريو حُميًّا الصبا القلق
سَم الطوق ضجّة الحيس فاستشرف الأفق
بأدرته الشّمسُ باغية الشوق تعتنق
ألهبته الضّحى فأودى به القوّت في الشفق
أغوايات وُلدْ أنفاس عذراء تحترق

بسم فارس

أسيار عاشر

أبعد من بلوطو ؟

كشف هرشل عن السيار اورانوس سنة ١٧٨١ وبعد البحث في الأرصاد القديمة ثبت ان هذا السيار كان قد رصد كثيراً في القرن السابق للكشف عنه . ولكن بوفار وجد سنة ١٨٢٠ ان الأرصاد القديمة المدونة عنه لا تتفق والأرصاد الجديدة ولما وضع جداوله ضرب بالأرصاد القديمة عرض الحائط حاسباً ان الخطأ فيها صادر عن مدونها . ولكنه لم يلبث ان رأى الخطأ يتطرق الى جداوله وأرصاده أيضاً حتى بلغ معظمه سنة ١٨٤٤ . فعني بسل باصلاح هذا الخطأ . زيادة ما هو مقدّر لجرم زحل لأن هذه الزيادة تحدث هذا الفرق في رأيه . ولكن لم يلبث ان ظهر له ان الجرم الذي يجب تعيينه لزحل لكي يعمل هذا الخطأ أعظم مما يسلم به العلم . فعدل عن ذلك . والمرجح ان تعليل هذا الخطأ بسيار خارج اورانوس جال في خواطر بوفار ولسل وغيرهما ولكن أول من اعتقد في ذلك وصرح بضرورة البحث عن مكان هذا الجسم كان القس هسي الانكليزي وهو من هواة علم الفلك . ففي سنة ١٨٣٦ كتب رسالة الى السير جورج آري العالم الفلكي يستطلع فيها رأيه في الموضوع ويتبرع بالبحث عن هذا السيار اذا قدّر احد العلماء موقعه بالحساب الرياضي فأجاب آري بأنه لم يقتنع بعد بأن هناك جسمًا خارجيًا يحدث هذا الاضطراب في فلك اورانوس . وعني بوفار مع ابن أخيه بالمسألة حوالي سنة ١٨٣٧ ولكنهما لم يبلغا فيها حدًا بعيداً

وفي سنة ١٨٣٥ كان الهر نقولاى مدير مرصد مانهم يتحدث عن مذهب هالي فذكر ظنه أن هناك سيّاراً وراء اورانوس يؤثر في المذهب كما يدل على ذلك الفرق بين أرصاد المذهب القديمة والأرصاد الجديدة . وفي سنة ١٨٤٣ أعلنت جمعية العلوم الملكية بغوتجن انها تمنح مبلغاً من المال لأول من يضع نظرية كافية لتعليل حركات اورانوس وعينت شهر سبتمبر سنة ١٨٤٦ لنهاية المباراة . وقد جاء في بعض المدونات ان بسل زار انكرا في سنة ١٨٤٢ وفيما هو يتحدث مع السير جون هرشل الفلكي المشهور أعرب عن اقتناعه بأن سيّاراً غير معروف

يحدث الاضطراب المشاهد في فلك اورانوس . وعليه فالمسألة كانت حينئذٍ قد بلغت الحد الذي تحتاج عنده الى عالم رياضي بارع يكب عليها ليحلها . وقد وجد هذا الرجل في شخص جون كوتش ادمز وكان حينئذ طالباً بكلية سانت جون بجامعة كمبردج فانه أكب على حل هذه المعضلة الرياضية الفلكية سنة ١٨٤٣ فوجد حالاً ان الاضطراب في فلك اورانوس يمكن تعليله بسيار يدور حول الشمس على ما يقضي به ناموس بود (Bode) وقضى السنتين التاليتين في درس اهليجية فلكه . وفي سبتمبر سنة ١٨٤٥ بعث بنتائج مباحثه الى الاستاذ جيمز تشالس . وفي أول نوفمبر أرسل العناصر التي كشفت عنها مباحثه الرياضية الى الفلكي آري قائلاً ان الاضطراب في فلك اورانوس يمكن تعليله بوجود سيار وصف عناصره - أي بعده عن الشمس وجرمه واهليجية فلكه الخ . وكان اراجو قد اقترح هذا البحث الرياضي الفلكي على لثرييه الفلكي الفرنسي ، وهو عالم كان سبق له وضع رسائل في علم الفلك النظري نالت إعجاب العلماء . ونشرت رسالته الاولى التي تليت في الاكاديمية الفرنسية في ١٠ نوفمبر ١٨٤٥ أي بعيد وصول رسالتي ادمز الى الاستاذ تشالس والفلكي آري . على ان مباحث لثرييه كانت أتم من مباحث ادمز . ولما رأى آري ان العناصر التي يعينها ادمز للسيار الجديد تتفق والعناصر التي يعينها لثرييه تقريباً اقترح على الاستاذ تشالس في ٩ يوليو سنة ١٨٤٦ البحث عن السيار بالتلسكوب . وبدأ تشالس رصده في ٢٩ يوليو سنة ١٨٤٦ وكان يلزم أن ترصد كل رقعة يحتمل وجود السيار فيها مرتين لتعيين موقع كل نجم فيها وموازنتها بالنجوم في الازياج المعروفة حتى يكشف عن كل نجم أو سيار بينها ليس معيناً لهذه الرقعة في الازياج

وفي ٣١ اغسطس سنة ١٨٤٦ بعث لثرييه برسالته الثانية الى الاكاديمية الفرنسية في موضوع السيار الذي وراء اورانوس وفي ١٨ سبتمبر سنة ١٨٤٦ كتب الى الفلكي غال وكان المساعد الاول في مرصد برلين مقترحاً عليه البحث في هذا السيار . فتلسم الرسالة في ٢٣ سبتمبر وعرضها على مدير المرصد فوافق هذا على اجراء البحث وطلب المسيو داره D'Arrest التلميذ بالمرصد ان يعاون الوكيل في ارضاده فأذن له في ذلك . واليه يعود جانب من الفضل في كشف السيار للاحاحه في الموازنة بين النجوم المرصودة والنجوم التي في احد الازياج المطوية في درج مهمل ، بعد ما كاد الوكيل يقرر الكف عن البحث . وكذلك كشف السيار نبتون في مساء ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٤٦ . وقد ثبت بعدئذ ان تشالس رصده في ٤ اغسطس ولكنه لم يعرف انه هو السيار المنشود

وقد اختلف الباحثون في نسبة هذا الكشف الفلكي العظيم . هل ينسب الى ادمز السابق في عمل الحسابات اللازمة وعرضها على رجلين من رجال العلم ، أو ينسب الى لقريبه السابق في نشر حساباته ؟ هل ينسب الى الثاني لأن غال الذي أرسل لقريبه تعليماته إليه ، وفق الى الكشف عن السيار ، ولا ينسب الى الاول مع ان تشالس رصده قبل وصول تعليمات لقريبه الى فال ، ولكنه لم يعرف انه هو ؟ والغالب الآن ان ادمز ولقريبه قسيان

هذا في ما يتعلق بكشف السيار نبتون . ولكن هل وراءه سيار آخر ؟ كان الفلكي الأميركي الأستاذ برميثال لول مقتنعاً بوجود سيار آخر وقضى حياته معنيّاً بالبحث الرياضي على طريقة ادمز ولقريبه لتعيين بعده وقدره وجرمه وشرعته . وفي مستهل سنة ١٩٣٠ عني علماء الفلك في مرصد فلاجستاف بولاية اريزونا الأميركية ، أسابيع متوالية برصد جرم سموي من القدر الخامس عشر تتفق حركته وحركة السيار الذي تنبأ به لول . واتفق الرأي العلمي بعد ذلك على ان هذا الجرم هو هذا السيار فدعي بلوطو . ومن المراسد التي شاركت في تصويره وتعيين عناصره بعد اذاعة كشفه مرصد حلوان

والآن يذهب الدكتور وتشردصن أحد علماء مرصد جبل ولسن الى ان وراء بلوطو سياراً آخر وقد عيّن عناصره بالحساب الرياضي كما فعل ادمز ولقريبه ولول من قبل . والرسّاد يبحثون عنه الآن . ومرد بحث وتشردصن الى مذهب هالي المشهور . فقد تأخر هذا المذهب عند ظهوره في سنة ١٩١٠ عن الميعاد المعيّن له بالحساب الرياضي الدقيق ثلاثة أيام . ومذهب هالي يدور في فلك اهليلجي مستطيل حول الشمس ويستغرق دورانه سبعاً وسبعين سنة . وكان عندما اقترب من الأرض في سنة ١٩١٠ على بعد ١٤٦٣٠٠٠٠٠٠ ميل حتى لقد ذهب فريق من العلماء حينئذ ان الأرض مرّت في غبار ذيله في ٢١ مايو سنة ١٩١٠ وعند ما يكون هذا المذهب على أبعد بعده عن الأرض يكون على ٢٦٥٢٠٠٠٠٠٠٠ ميل وهو يفوق بعد الأرض عن الشمس سبعة وعشرين ضعفاً

فاما كشف بلوطو سنة ١٩٣٠ ظن انه الجرم الذي يحدث هذا الاضطراب في دورة المذهب ثم ظهر ان كتلته لا تكفي لاحدائه . فعمد وتشردصن الى الرياضة العالية ، للبحث عن جرم آخر . وعندد ان حجم هذا السيار يجب ان يكون من رتبة حجم الأرض ، وان بعده عن الشمس يفوق بعدها عنها خمسة وثلاثين ضعفاً

كيف ينبغي

ان يكون التعليم الاقتصادي في مصر
لتساهم في التعاون العالمي (١)

لعبد الرحمن فكري بك
وكيل وزارة التجارة والصناعة

تختلف النظم الاقتصادية وتكيف باختلاف الأغراض التي يسعى المشرفون على شؤون الأمم الاقتصادية الى تحقيقها. ففي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت الحكومات ترمي الى تدعيم سلطانها وإثراء دخلها حتى تستطيع بما لديها من الاموال توسيع نطاق الصناعات الحربية فيها وتجهيز الجيوش اللازمة للغزو والدفاع عن سلامتها ولأن ترفع بين الأمم كلمتها اذ أن ذلك العصر كان عصر تأليف القوميات وتكوين الأمم وكانت الغلبة فيه للقوي فلم يكن والحالة هذه امام حكومات ذلك الزمن مجال للأهتمام بمصالح الأفراد او للعمل على رفع مستواهم . كان الفرد جزءاً من الآلة التي تعمل على اثراء الحكومة ولم يكن غرضاً في ذاته بل كان وسيلة الى تحقيق غرض آخر ألا وهو تدعيم سلطان الدولة فكان الاهتمام به لا يتجاوز القدر اللازم للبقاء على اجزاء تلك الآلة في الانتاج فكان أجره لا يتكافأ مع إنتاجه او العناية برفاهية واطمئنانه بل كان يتحدد عند المستوى الأدنى الذي يكاد ان يقوم بأوده كان غرض تدعيم سلطان الدولة اولاً هو الذي أملى على التجاريين Mercantilists نظرية إقامة الحواجز الجمركية العالية في طريق الواردات من المنتجات الأجنبية حتى تقل وتضمحل ومنح الصادرات جميع التسهيلات وشتى الاعانات حتى تزيد وتربو كي تحصل الدولة على أكبر قدر من الذهب تتمكن به من السيطرة على الاسواق المالية وقد تستعمله في أثناء الحروب في الحصول على حاجاتها من المواد الأولية من الأسواق الأجنبية اللازمة لمواصلة القتال وهذا الغرض نفسه هو الذي أوحى الى الحكومات عند فرضها الضرائب أن لا تفرق بين الغني والفقير بين القادر على دفع الضرائب الذي لا يتأثر ببضعة جنيهات تقطع منه وبين

ذلك الذي تنتقص من طعامه درهيمات يجبر على دفعها الى الحكومة وكانت الضرائب كثيرة متشعبة

ولكن الحال ما لبثت حتى تبدلت وتغيّر الغرض وأصبح الاهتمام اكبر بالفرد في ذاته وانقلبت النظريات واختلفت النظم وأخذ المشتغلون بالشؤون الاقتصادية يبحثون في وسائل رفع الأجور وفرضوا حدوداً دنيا لا يمكن لأجر العامل ان ينخفض دونها وعملوا على تأمين العمال من شرور البطالة ومخاطر الحياة وعلى ابتناء المساكن الصحية للطبقات العاملة وإعانة الضعفاء منهم وغير ذلك من مختلف الخدمات الاجتماعية التي تدخل الاطمئنان على نفوسهم كذلك تغيرت سياسة التجارة الخارجية وأصبحت تتأرجح بين الحرية والحماية المقيدة وفقاً لمصلحة المجموع لا وفقاً لمصلحة الحكومة ودخلها. ثم ان نظام الضرائب تغير هو الآخر فأعفى من دفعها أولئك الذين لم تصل ايراداتهم الى حد معين مع تصاعد نسبة الضريبة كلما زاد الدخل ففراحت الحكومات عدم ارهاق ذوي الايرادات الضئيلة المحدودة ، بالضرائب لتكسبهم من ان يحيا حياة طيبة

ترون حضراتكم من كل هذا ان النظم الاقتصادية تتشكل وتغير وفقاً للغرض الذي يسعى القائمون على تنظيم الاقتصاد الى تحقيقه لذلك فقبل ان نضع صورة للنظام الاقتصادي في العالم او في مصر بعد الحرب الحالية يجب ان نحدد الغرض الذي يرمي ذلك النظام الى تحقيقه وفي اعتقادي ان العالم لن يرجع بعد الحرب الحالية الى ما كانت عليه الحال في القرن الثامن عشر او الى ما كانت عليه حال بعض البلدان قبل قيام هذه الحرب من العناية اولا بتدعيم سلطان الدولة كغرض في ذاته بل انه لا يخالني أدنى ريب في أن اتجاه الرأي في العالم قاطبة أخذ يتحوّل صوب العمل على تحسين حال الفرد والاهتمام به في المقام الاول فان زادت الحكومة في دخلها فلاسعاد أفراد الشعب المحرومين وليس لتعزيز ميزانية الحرب، وإن انتهجت الدولة سياسة أكثر حرية في ميدان التجارة الخارجية فلأن ذلك سيساعد على استمتاع الافراد بحياة أكثر رفاهية من ذي قبل وهكذا في شتى المناحي سيكون الغرض الأساسي هو رفع مستوى المعيشة للفرد

وها هو ذا مؤتمر هيئة العمل الدولية الذي عقد في نوفمبر من العام الماضي يضمّن قراراته وجوب اتخاذ التدابير اللازمة والعاجلة لتغذية الشعوب التي أضنتها الحرب الحالية ولتعمير البلاد المخرّبة ولتدبير المواد الأولية للاقطار المحتاجة اليها رغبة في إعادة النشاط الاقتصادي بها والمعاونة على تدبير المساكن الضرورية للعمال وعائلاتهم حتى يعيشوا في جوّ من الحرية والاطمئنان مع العمل على تكييف الاتجاه الصناعي حتى يكون متنقلاً والاحوال العالمية في

أوقات السلم ولا استخدام العمال وبذل الجهود المؤدية الى رفع مستوى معيشتهم في جميع أنحاء العالم

ذلك فيما نعتقد سيكون الغرض الذي يسعى العالم الى تحقيقه بعد الحرب الحالية ولا نخل مصر شاذة عن هذا السبيل بل ان القائمين بالأمر فيها قد بدأوا بالفعل يضعون نصب أعينهم ذلك الغرض الأسمى. والمنتظر ان النظام الاقتصادي في مصر بعد الحرب الحالية سيكون غرضه الأول رفع مستوى المعيشة لطبقات الشعب إلا أن رفع هذا المستوى يقتضي العمل على زيادة الدخل الأهلي ولن يزيد الدخل الأهلي إلا عن طريق زيادة الكفاية الانتاجية فما هي الوسائل الى زيادة الكفاية الانتاجية؟

لا يزال في الزراعة متسع لكثير من وجوه التحسين فبتحقيق سياسة الري والصرف التي رسمتها وزارة الاشغال وتنفيذ سياسة وزارة الزراعة لتحسين اختيار البذور وتقسيمها على المناطق بحسب نوع الارض واستعمال الاسمدة الكيماوية والآلات الزراعية وبالعباية بالتعليم الزراعي سيزداد انتاج المحاصيل وبالتالي يزداد الدخل الفردي والأهلي

والثروة المائية لا تزال غير مستغلة الاستغلال الكافي كما أن مصر ما زالت في أول عهدها بالاهتمام بزيادة دخلها الأهلي من السياحة فأمامها متسع كبير للعمل على تنشيطها واعداد العدة لاجتذاب العدد العديد من السياح من جميع أنحاء العالم

إلا أن هذه الجهود متى تضافرت في هذه النواحي فلن تزيد دخول الافراد بالقدر الذي يمكنهم من رفع مستوى معيشتهم وليس من سبيل للوصول الى هذه الغاية إلا عن طريق الصناعة فالواجب علينا أن نتجه بجهودنا صوب هذه الناحية. فالصناعة في مصر أكبر واسطة لزيادة الدخل الأهلي وما يستتبع ذلك من رفع مستوى المعيشة للطبقات المشتغلة بها ولن تقتصر فائدها على رجال الصناعة وعمالها بل تمتد منافعها الى فريق كبير من التجار والمشتغلين بالنقل الذين يتولون توزيع منتجاتها في داخل البلاد والاشراف على تصديرها الى الاسواق الاجنبية. ومن القول المعاد أن نذكر ان مصر صالحة كل الصلاح لقيام كثير من الصناعات فيها. فقد ثبت بالدليل القاطع صدق هذا القول ولا أدل على ذلك من أنه قد نشأت في مصر في غضون الحرب الماضية وما بعدها بعض الصناعات كما أنه قد اتسع العمل والانتاج في بعض الصناعات الاخرى التي كانت قائمة

وقد خطت مصر في سبيل تعزيز صناعاتها المحلية خطوات واسعة حتى انها قبل قيام الحرب الحالية كانت تكفي نفسها كفاية تامة أو في حدود ٩٠ ٪ من حاجة استهلاكها المحلي من صناعات السكر والكحول وطحن الغلال وزجاج المصابيح وغزل القطن والاحذية والصابون

والاسمنت والطرايش. وفي حدود ٨٠ ٪ من صناعتي الاثاث والكبريت. هذا وقد باتت صناعة غزل القطن ونسجه تكفي لسد نحو ٤٠ ٪ من حاجتها من الاقمشة القطنية السميكة ولم يقف الانتاج في هذه الصناعات عند تلبية مطالب البلاد الداخلية فحسب بل تعداه الى تصدير جزء كبير الى الخارج كما هي الحال في زيت القطن وكسبه وبذرتة والسكر والعسل الاسود وفضلات الطحن وغيرها

هذه الناحية الهامة من نواحي الانتاج ما زالت في حاجة الى تنظيم واسع وقد يكون في قيام معهد للابحاث مزود بكل ما تحتاج اليه معاهد الابحاث الصناعية من آلات وأدوات وأموال ويشرف عليه خبراء يتخصصون في أنواع الصناعات المختلفة ، وقد يكون في انشاء هيئة للتمويل الصناعي تعمل على مساعدة الصناعات القديمة على الاستمرار والتوسع وتساهم في انشاء الصناعات الجديدة من حيث انشاء الشركات الجديدة المأمونة الجانب ، قد يكون في الاهتمام بهاتين الناحيتين بداية تبشر بمستقبل زاهر في ميدان الصناعة

هذه الناحية من التنظيم الاقتصادي ستكون بلا شك حجر الزاوية في النظام الاقتصادي في مصر بعد الحرب وسيستتبع قيامها استمرار السياسة المصرية في التجارة الخارجية تلك السياسة التي تقوم على أساس مزدوج من تسهيل التبادل التجاري وحماية غير مبالغ فيها للصناعات المحلية الناشئة . وفي الواقع لم نشذ مصر عن هذه القاعدة الا بحكم الاحوال القاهرة الخارجية فلم تفرض رسوم جمركية عالية على الوارد من بعض المنتجات الزراعية او الصناعية الا رغبة في حماية الانتاج الزراعي والصناعة المحلية من المزاومة غير المشروعة التي كانت تلتجئ اليها بعض البلاد كمنح اعانات تصدير أو تخفيض أجور الشحن البحري أو اتباع نظام اغراق الأسواق الأجنبية بالبضائع . ومن المرجح انه إذا زالت الأسباب التي من أجلها فرضت الرسوم الجمركية العالية، أن تعود السياسة المصرية سيرتها الأولى من تسهيل التبادل التجاري المقترن بحماية الصناعة الناشئة . وفي اعتقادي ان حماية الصناعات الناشئة لن تتطلب منا حماية جمركية مبالغاً فيها بل ستكون تلك الحماية بالقدر الذي يسمح للصناعات المصرية أن تقوم والتي تحول دون مزاحمة المنتجات الأجنبية لها وهي في نشأتها ومن المحتمل ان لا تكون السياسة المصرية مناقضة لنظم التبادل التجاري في البلاد الأخرى إذ المرجح ان سياسة تيسير التبادل التجاري ستسود العالم ولكن من المستبعد كلية قيام حرية مطلقة في التبادل العالمي . ففي كثير من البلاد يستلزم الاحتفاظ بالمستوى العالي للمعيشة حماية ببعض الصناعات وحتى في البلاد القديمة والعريقة في الصناعة كانكثرا سيتطلب الأمر الابقاء على بعض الرسوم الجمركية الخاصة لبعض الصناعات ما دام غرض السياسة الاقتصادية الانكليزية هو رفع مستوى

المعيشة لطبقات الشعب . وقد كتب اللورد Keynes أحد كبار الاقتصاديين الانكليز في احد مؤلفاته الحديثة ان انكثرا اذا عدلت عن سياستها التقليدية في التجارة الخارجية فما ذلك الا حرصاً منها على الاحتفاظ بمستوى من العيش مرتفع

ومن المحتمل ان تدخل بعض التغييرات على نظم الضرائب الحالية تحقيقاً لرفع مستوى المعيشة لأفراد الشعب . فبدأ الضريبة المتصاعدة لم يؤخذ به تماماً في مصر ومن الراجح ان نظام الضرائب في مصر سيتدرج في التعديل بشكل يسمح بالتصاعد النسبي المشاهد في كثير من البلاد الأجنبية حتى تتحقق العدالة بين دافعي الضريبة كما انه من المحتمل النظر من جديد بكثير من الاهتمام في فرض ضرائب جديدة حتى تستطيع الحكومة الانفاق على نواحي الإصلاح الاجتماعي التي يتطلبها رفع مستوى المعيشة . وتعلمون حضراتكم أن نواحي الإصلاح الاجتماعي تقتضي أموالاً وفيرة فوفقاً للتقرير الذي قدمه السير وليم بيشرديج والذي نشر ملخص له في الصحف أخيراً تبلغ الأموال التي يقدّر انفاقها في انكثرا في هذه النواحي ٧٠٠ مليون جنيه في السنة الاولى من تنفيذ مقترحاته ونحن لا نتطلع الى تحقيق جميع هذه الإصلاحات الاجتماعية دفعة واحدة ولكننا نحبو الى ان ننهج في هذا السبيل نهج البلاد المهتمة بالإصلاح الاجتماعي تدريجياً على قدر ما تسمح به مقدرتنا المالية

ترون حضراتكم من هذا ان مصر في نظامها الاقتصادي كما صورناه ستساهم في التعاون العالمي من حيث الغرض وفي كثير من التفاصيل . ولا إخلال مصر من حيث نظام عملتها ستكون أقل تعاوناً مع بقية بلاد العالم الأخرى . فأنها كما تعلمون مرتبطة بالجنيه الاسترليني وهي العملة السائدة في جزء كبير من العالم فلن يغير من سياستها المالية شيئاً ان تتبع نظاماً عالمياً موحداً اذا ما دعيت الى ذلك . ونحن لا نعلم على وجه التحقيق ما ينتظر أن يكون عليه نظام العملة في المستقبل وهل سيكون من الميسور العودة الى قاعدة الذهب أو اتباع نظام آخر يكون من شأنه تسهيل سبل التبادل التجاري والمالي بين مختلف الأمم ولكن هناك أمراً واحداً نرجح قيامه وهو ان مصر ستكون على استعداد للعمل بما يستقر عليه الرأي بين الأمم بعد الحرب فيما يتعلق بالعملة رغبة منها في التعاون مع بلاد العالم للأشراف على كل ما من شأنه زيادة التبادل التجاري فاذا ما ذهبت مصر في تنفيذ ما استقرّ عليه الرأي من الإصلاحات الاجتماعية ورفع مستوى معيشة الشعب وحياته الثقافية الى الحد الذي نتمناه، فهي ولا شك متمشية مع بقية أمم العالم ومتعاونة معها على تحقيق المثل العليا في الميدان الاقتصادي تلك المثل التي ترنو اليها أعين الشعوب وتتداول اليها أعناقها في أيام السلام

توزيع سكان القطر

ناحية هامة للصحة الاجتماعية

للدكتور حسن كمال
مساعد مفتش صحة القاهرة

١ — (زيادة تعداد السكان وتركزهم في جهات دون الاخرى) للقطر المصري مزايا جغرافية وأهلية تتحكم في كثير من نواحيه الاجتماعية . لهذا نجده بحكم عزلته وقدم مدينتيه واعتزاز أهله بطبائعهم وعقائدهم وحدة قائمة بذاتها . وعلى الرغم من ذلك فقد اعتراه حديثاً تغير اقتصادي وعمراني غيره نوعاً فأنشأ حالة جديدة . ففي عام ١٨٠٠ ميلادية كان تعداد سكان القطر على ما أثبت في إحصائية الحملة الفرنسية ٢٤٦٠٢٠٠ نسمة . وفي سنة ١٨٨٢ بلغ هذا التعداد ٦٨٠٤٠٢١ نسمة وعام ١٩٣٧ بلغ ١٥٩٠٤٠٢٥ نسمة . وهذا تغير من جهة تعداد السكان له شأنه . وهناك تغير زراعي حل بالقطر لا يقل عن ذلك شأنًا . فمساحة الأراضي المزروعة زادت كثيراً عما كانت عليه بتحول نظام الحياض العتيق بالتدرج الى نظام الري المستديم الشائع الآن . فأمكن الحصول على محصولين أو ثلاثة في السنة من الأرض الواحدة . لكن هذا التقدم الزراعي لم يجار التقدم في زيادة السكان فتوسط ما يخص الفلاح الواحد من الأرض انحط من ٠٫٨٧ فدان (عام ١٨٩٧) الى ٠٫٤١ فدان (١٩٣٧) فكأنما قد تضاعف الفقر الزراعي في الأربعين السنة الاخيرة (معالي عبد الواحد بك الوكيل — المجلة الطبية المصرية يونيو سنة ١٩٣٩ ص ٨٢٠)

حدث بعد ذلك انتعاش في الصناعة . فشغلت الصناعة في مصر المحل التالي للزراعة . وخففت من حدة الضائقة الزراعية بعض التخفيف . ونشأت صناعات في جهات معينة من القطر واستوطنتها وأصبحت من مميزاتها الرئيسية وحافظت على كيانها بالرغم من منافسة الصناعات الأجنبية لها . ولما نشبت الحرب الكبرى عام ١٩١٤ تعذر استيراد كثير من المصنوعات الأجنبية فاضطرت البلاد الى توجيه عنايتها الى صنع ما تيسر لها مما أضر تأثيراً محموداً في نهضة مصر الاقتصادية

إلا أن عامل الصناعة له اتجاه غير اتجاه عامل الزراعة . فالزراعة تقتضي توزيعاً عادلاً

للسكان بحسب المساحة أما الصناعة فتوجب اكتظاظ العمال في المراكز الصناعية ولا بد من وجود توازن بين هاتين الناحيتين وإلا طغت إحداها على الأخرى . وقد حصل هذا الطغيان فعلاً . فنظرة واحدة الى الجدول الآتي كفيلة بأن تظهر للقارىء مدى ذلك :

القاهرة	يخصها	٣٤ نسمة للفدان الواحد ومساحتها	٣٨٠٠٠ فداناً
الاسكندرية	»	»	»
البحيرة	»	»	»
الغربية	»	»	»
الدقهلية	»	»	»
الشرقية	»	»	»
المنوفية	»	»	»
القليوبية	»	»	»
الجيزة	»	»	»
الفيوم	»	»	»
بني سويف	»	»	»
المنيا	»	»	»
اسميوط	»	»	»
جرجا	»	»	»
قنا	»	»	»
اسوان	»	»	»

وكما ترعرعت الصناعة في مكان ما نزح الفلاحون اليه وهجروا أرضهم طلباً للكسب فينحط المستوى الاقتصادي في الريف ويعلو في المدن . ولما كان القطر المصري على وشك النهوض بالصناعة خصوصاً بعد أن تضع الحرب الحالية أوزارها كان واجباً علينا أن نوزع المراكز الصناعية بقدر الامكان توزيعاً عادلاً يتمشى مع حاجة البلاد الزراعية أيضاً . ومنه يتضح ان هذا العمل يتطلب مجهوداً مشتركاً لادارات الصناعة والتجارة والعمل والزراعة والصحة في هيئة لجنة مشتركة . أما اشتراك الصحة فلمنزلة المكان من الناحية الصحية . فأوبئة المدن أشد فتكاً من أوبئة الريف . والامراض التي تنتقل بالرداذ والحشرات المنزلية أكثر وأفتك في المدن منها في القرى . وتوزيع السكان توزيعاً عادلاً على جهات القطر عامل عظيم الشأن في منع الأوبئة ومقاومتها اذا ما ظهرت . خذ مثلاً اكتظاظ العمال في المحلة الكبرى بعد نجاح مشروع النسيج

بينك مصر فقد اضطرت الشركة هناك لبناء مساكن خاصة لعمالها . ففي الحالة الأخيرة كان الربح الرائد الاول دون صحة العمال مع ان من يرغب في الربح يتحتم عليه النظر الى مشروعه من هاتين الناحيتين معاً

وفوق ذلك فالمنتظر ان يتطور الامر تطوراً سريعاً يبعث على القلق . وذلك من وجهة تضاعف السكان في مدة الخمسين سنة القادمة وما يتبعه من زيادة محسوسة في تعداد الشبان قال الدكتور كلياند (مقتطف مايو سنة ١٩٣٥ ص ٥٣٢) ما معناه : ان حياة الفرد بالقطر المصري عام ١٩٢٧ كانت ثلاثين عاماً . وان نسبة الشبان الذين يقل عمرهم عن عشرين عاماً بلغ ٤٧.٧٪ من مجموع السكان . بينما بلغت هاتان النسبتان للسكان البيض في الولايات المتحدة عام ١٩٣٠ نحو ٦١ عاماً لمعدل حياة الفرد و ٣٨.٨٪ لعدد الشبان دون العشرين . وفي الواقع ان القطر المصري في وقتنا الحاضر ما زال في المرحلة التي بلغتها بلدان غرب أوروبا منذ قرن وربع قرن . وهو في مستوى واحد مع الهند تقريباً حيث كان معدل الحياة الانسانية عام ١٩٣١ نحو ٢٦.٩ سنة ويلاحظ ان ثلثي سكان القطر المصري أي ٦٥٪ منهم يقل عمرهم عن ثلاثين سنة . بينما نجد هذه النسبة في انكلترا بلغت ٥٠٪ عام ١٩٣١ . وقد أخذت نسبة الأعمار تتغير في مصر فانخفضت نسبة الاطفال الذين هم دون العاشرة من ٢٩.٨٦ في الألف الى ٢٨.٤٢ في الألف كما ازداد عدد الاشخاص ما بين العاشرة والاربعين من ٤٨.٠٣ في الألف الى ٥٠.٧٩ في الألف

وهذا دليل على ان سكان مصر يتجهون نحو الشيخوخة شيئاً . ولكن يجب ملاحظة ان ذلك من شأنه ان يزيد عدد الاشخاص المخصيين من الناحية التناسلية اي البالغين من العمر ما بين الخامسة عشرة والتاسعة والاربعين . وهذا يؤدي الى احتمال زيادة معدل الزواج والولادة . وفي الواقع انه اذا استمرت الزيادة في عدد المواليد على المعدل الحالي فلا بد ان يتضاعف عدد السكان في الاثنتين والخمسين سنة القادمة . وفضلاً عن ذلك فان تحسن الحالة الصحية وما ينتج عنه من قلة معدل الوفيات بين الاطفال سيؤدي الى زيادة ظاهرة في عدد الشبان بين السكان

٢ - * اضرار التركيز من ناحية الصحة الاجتماعية * الضائقة المعاشية وكثرة الذرية معضلتان حديثتان ضجّ منهما المصريون . فتقدم الودون الى دور العلم زرافات طالبين الاعفاء من المصاريف . وطلب الموظفون ترقية وعلاوات . وبدأنا نلمس نتائج زيادة السكان وصعوبة الاقتصاد . الا ان هناك نتائج أخرى كامنّة أبعد أترأ في الصحة الاجتماعية منها أزمة الزواج بين الطبقة المثقفة . ولهذا وحدها خطرهما الاجتماعي . ثم كثرة

الطلاق وقضايا النفقة الشرعية التي فاقت أخيراً كل ما كانت عليه سابقاً^(١). بعد ذلك نادى بعضهم بضرورة هجرة المصريين الى السودان والعراق والبلدان المجاورة للسعي في الرزق ثم اتجهت الانظار الى الطب عليها تجدد في تحديد النسل مخرجاً من هذا المأزق. وأخيراً شخص القوم نحو رجال الدين عسى ان يجدوا لديهم مسوغاً شرعياً للغرض نفسه

وهذه امور ان دلت على شيء فعلى العجز عن الحيل السليم. وما تحديد النسل في الحقيقة الا تقتيل للابناء واستحياء للنساء أو قتل وادامة تريد استعادة نشاطها وتجديد عنفوانها. فحق عليها قوله تعالى (واذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت). تلك حالة غاية في الغرابة. قطر متوفر الزراعة فيه الفقر مدقع. شاسع المساحة به المنازل مكتظة. غزير الشمس وافر الهواء النقي به الامراض ترتفع. تباين ما أشده. وتناقض لا يصدق لو لم يكن حقيقة واقعة. تلك حالنا اليوم فما بالك بعد

لقد آن أوان تنفيذ قانون المساكن لاشتماله على شروط التهوية والاضاءة والمساحة وغيرها من مستلزمات الصحة المنزلية. آن الأوان لان القطر بعد هذه الحرب سوف يتجه الى بناء المنازل في المدن وتأسيس الكثير من القرى بل قل المدن. وبهذا القانون وحده يمكن منع الاكتظاظ وضمان صحة السكان في المدن. وقوانين المساكن معروفة. فليشكل بلد قانونه مما يتفق مع جوها وعاداتها وطرق معاشها. فلا بد اذن أن يكون قانون مساكننا متفقاً مع جوها وعاداتنا وطرق معاشنا. وانني أرجو في هذا الصدد ان أوجه النظر الى مسألتين هامتين من الوجهة الصحية خاصيتين بالحياة في المدن. اولاهما خاصة بالاقلال من الزلات المعوية عند الاطفال قصد الاقلال ما أمكن من كثرة وفياتهم. وثانيهما خاصة بنقاوة جو المدن من الدخان قصد الاقلال من امراض الصدر في المناطق الصناعية. وتتلخص الاولى في ضرورة مد شوارع واسعة وعدم استعمال الحيوانات كوسائل للنقل. فقد ثبت ببلاد الانكليز ان الزلات المعوية عند الاطفال هناك انخفضت اخيراً كثيراً عما كانت عليه قبل خمسة وعشرين عاماً وان هذا الانخفاض ناجم عن امور ثلاثة (١) ارشاد الامهات الى طرق

(١) فكتاب الاحصاء القضائي السنوي أثبت فيه ما يأتي :

سنة ١٩٢٣ — ٢٤	٣٥٧٠٧٢	٦٧٦٨٦	١٩	١٢
سنة ١٩٣٥ — ٣٦	٢٠٠١٣٠	٥٥٢٧٢	٢٧ر٥	١٨

وبتاريخ ٢٢ / ١٢ / ١٩٤٢ نشرت جريدة الاهرام تحت عنوان « مائة الف طلاق في عام واحد » العبارة التالية — كان مما استرعى أنظار ذوي الشأن كثرة حوادث الطلاق اذ بلغ عددها في هذا العام مائة الف على حين ان عقود الزواج بلغ عددها ثلاث مائة الف أي ان نسبة الطلاق للزواج هي حوالي ٣٣ في المائة. ولهذا رؤي التعجيل باستصدار التشريع الخاص بحماية الاسرة المصرية وهو يقضي بمنع الطلاق إلا اذا كان أمام القاضي كما انه ينص على عقوبة الحبس في حالة مخالفة ذلك

العناية بأطفالهن عن طريق مراكز رعاية الطفل (٢) الاكثار من استعمال اللبن المجفف (٣) انعدام براز الحيوانات وبولها اثر استعمال سيارات النقل (المجلة الطبية الانكليزية ٢٥/٧/٤٢ ص ١٩٤١)

وتتلخص الثانية في منع انتشار الدخان بالمناطق الصناعية بل وفي المدن ايضاً . نعم ان الاشتراطات الصحية الحالية تقتضي بعد المدخنة مسافة ٢٥ متراً عن المساكن المجاورة وارتفاعها مسافة مترين عما جاورها . الا ان العمارات الكبيرة الحديثة كثيرة المساكن . فقد يبلغ تعداد مساكن كل عمارة حوالي السبعين شقة عدا الدكاكين . ولكل شقة مدخنة للمطبخ واخرى للتدفئة . كما ان لبعض الدكاكين مداخن ايضاً . يتضح من ذلك ان تعداد مداخن العمارة الواحدة قد يصل الى المائتين وهو تعداد قد يجاوز ضرره ضرر مصنع كبير . مع ملاحظة ان هذه العمارات تشاد وسط المدن بينما المصانع تشاد خارج المدن . والاتجاه الآن في المعمار نحو انشاء العمارات الشاهقة الضخمة التي تدر ربحاً وفيراً ولا تشغل مساحة كبيرة . فالشروط الصحية الحالية سوف لا تكون كافية لدرء ضرر الدخان في المستقبل . وقد يكون من المقترحات المفيدة لذلك اشتراط استعمال وقود لا يولد دخاناً أو تعديل بناء المداخن حتى تمنع وصول الدخان الى الخارج وايضاً ضرورة الحصول على رخصة لكل مدخنة وان يشجع ما امكن استعمال الكهرباء وغاز الاستنصباح للاغراض المذكورة . وواضح انه ما دام هناك دخان في مدينة لا يمكن اعدت تلك المدينة صحية . فالهواء النقي في الصحة العامة لا يقل شأناً عن مياه الشرب المشرحة

٣ — * امراض تركر السكان وعلاجها * جاء بمجلة (Annal. Intern. Med)

١٤١ (١٩٤٠) ان الدكتور بورتز (Bortz) طبيب مستشفى لانكناو Lankenau بفلادلفيا باميركا تحرى حالات ٢٠٠ مريض مصابين بامراض متباينة كأمراض الدورة الدموية والبول السكري أو أمراض المعدة والامعاء والجهاز التنفسي والعصبي فوجد ان ٧٥٪ من هؤلاء ازدادت حالتهم سوءاً وامتنع شفاؤهم من جراء سوء حالتهم الاجتماعية كعدم الاستقرار المالي وسوء الحالة الصحية في البيئة والاجهاد الجسماني . وليلاحظ ان هذه الحالات بالذات معروفة بين فلاحينا وعمالنا وقد نجمت عنها المشاحنات العائلية والفرع من المرض والفصل من الخدمة كما أوجبت حالة تعجز الشخص عن ملائمة نفسه لأحواله الحيوية . من اجل ذلك انشئت بالبلاد الراقية ادارة للصحة الاجتماعية . لكن هذا الانشاء لم يحصل فحاة بل كان نتيجة أخذ ورد كثيرين ففي انكثرا مثلاً حصل عام ١٩٠٨ ان بحث الجمعية الطبية الانكليزية هذا الموضوع فتقدم الرحوم الدكتور فودزجل (E. R. Fothergill) بمضده الدكتور الفرد كوكس

(Alfred Cox) (راجع المجلة الطبية الانكليزية ١٩٤٢/٦/٢٥ ص ١٥١) طالباً تخصيص قسم بالجمعية الطبية الانكليزية للصحة الاجتماعية . والى القارىء ترجمة ما جاء في أقواله منذ اربعة وثلاثين عاماً . « اذا كان هناك أمر أوضح من غيره في هذا العهد فهو اهتمام الحكومة بأمور الشعب الحيوية . وقد استوثقنا من ان كثيراً من القوانين المقترحة الآن لا يمكن تنفيذها من غير الاستئناس برأي رجال الصحة ومنذ ذلك الوقت قدر الانكليز مقام الصحة الاجتماعية . وأخذ هذا التقدير ينمو شيئاً فشيئاً حتى استقر الرأي نهائياً هذا العام (١٩٤٢) على انشاء معهد خاص لذلك بجامعة اكسفورد يديره استاذ تلخص اختصاصاته فيما يلي : —

اولاً — بحث أثر العوامل الاجتماعية والنسلية (genetic) والبيئة والمنزلية في إحداث الأمراض والعاهات الآدمية

ثانياً — معرفة وانماء وسائل صيانة الفرد والمجتمع من التيارات الاجتماعية التي تؤثر في نموهما والحفاظ على الكفاءة العقلية والجسمية دون المساس بوسائل العلاج الطبي المستعملة الآن ثالثاً — اعداد المعهد لتعليم الصحة الاجتماعية لطلبة الطب والاطباء ممن تختارهم لجنة كلية الطب بجامعة اكسفورد وكلما طلبت الجامعة ذلك من المعهد

وخصص لهذا المعهد ١٠٠٠٠ جنيه سنوياً من ريع هبة لورد نفيلد (Nuffield) مدة عشر سنوات للإتفاق منها على تأثيث المعهد ومراتب موظفيه . وجعل الاشراف على هذا المعهد في يد لجنة مؤلفة من ستة أعضاء . وسيكون هذا المعهد بداية لمباحث اجتماعية هامة . ومن المؤكد انه من أهم ما سيعنى به بحث نتائج التجارب الطويلة التي اكتسبها بعض الأطباء الذين عدوا المرض نتيجة لاهمال الوقاية ووليد نقص الصحة الاجتماعية وانه لو اتخذت العدة لتحسين الصحة الاجتماعية لانعدم كثير من الأمراض والعاهات ولحل محلها الصحة واليسر المادي . والمسمع الطبي الذي يحمله الطبيب في جيبه للاستعانة به على سماع ألقاظ المرضى الخافتة وزجاجة الدواء التي يتأبطها المريض ليتناول ما بها رغبة في الشفاء والمشرط الذي يشق الجراح به جسم مريضه استئصالاً للداء — أقول ان هذا المسمع وهذه الزجاجة وهذا المشرط، إن هي في الحقيقة الأدلّ لالعجز الطبي عن استبعاد المرض لأكثر ولا أقل . على ان هذا لا يصح ان يتخذ وسيلة للحط من قيمة الأطباء المعالجين لأن هؤلاء الأطباء قضوا قروناً باحثين عن المرض ثم بدأوا أخيراً يستعينون في صناعتهم برجال الاحصاء . ولولا هؤلاء الأطباء الاكلينكيين لعجز رجال الصحة اليوم عن أداء أعمالهم . وكل هذه حقائق لا جدال فيها — لكن المطلوب الآن — من الطبيب المعالج ان ينظر الى مريضه

لفرة طبيب يعنى بالعلاج والوقاية في آن واحد ، وان يعدّ المرض الذي يعالجه نتيجة لعوامل جسمية ونفسية متعددة يجب بحثها ومعالجتها وان ينظر الى العائلة كوحدة صحية في المجتمع لها مكانتها من حيث اسعاده بالصحة واتعاشه بالمرض

ان توزيع السكان من الأسس التي يقوم عليها صرح الصحة الاجتماعية . وما قلته سابقاً عن انشاء معهد خاص لذلك ان هو في الحقيقة الا احدى طرق علاج هذا الموضوع الخطير . جاء بالجلّة الطبية الانكليزية (٣٠ / ٥ / ١٩٤٢ ص ٦٧٤) ان الاهتمام بالمواليد وطريقة توزيع السكان بانكلترا واسكتلندا حدا وزارة الصحة البريطانية على نشر كتاب أبيض عن ذلك هو في الحقيقة مذكرة أساسها احصائيات عام ١٩٣٩ مع بيانات اخرى قدمت الى اللجنة الملكية التي أنشئت لذلك . وقد بحثت في هذه المذكرة مشكلة توزيع العمال توزيعاً جغرافياً يتفق مع مصلحة البلاد الاقتصادية والصحية . وقد كان اعداد ذلك الكتاب الأبيض قبل الحرب الحالية فلم تراع وقت كتابته هجرة الاهالي في أثناء هذه الحرب وان كانت هذه الهجرات عابرة وتزول بزوال الحرب . وجاء بالكتاب المذكور ايضاً ان تعداد سكان بريطانيا العظمى لا يزال آخذاً في الزيادة وكانت هذه الزيادة تحصل قبل الحرب العالمية الماضية (١٩١٤ — ١٩١٨) بمعدل ١٪ كل عام . الا ان هذا المعدل نقص بعدئذ الى ١٪ . والمنظر ان هذا التعداد سيأخذ في النقص ويعزى استمرار هذه الزيادة في السكان الى سببين اولهما خفض نسبة وفيات الأطفال عما كانت عليه في السبعين سنة الاخيرة . ثانيهما ازدياد الهجرة الى داخل الجزر البريطانية وقد كان تعداد المواليد السنوي ببريطانيا عام ١٨٤٠ أقل من ٦٠٠ ٠٠٠ ثم زاد بعد ذلك حتى أربى على المليون في المدة بين ١٨٧٦ و ١٩١٤ . بعدئذ هبط هذا التعداد الى ٧٠٠ ٠٠٠ . وفي الكتاب المذكور احصائيات للسكان في السنين القادمة مبينة على أساس الوفيات والاختصاص والهجرة . ومنها يتضح انه في المدة بين ١٩٥١ و ١٩٦١ سيكون تعداد السكان ببريطانيا بين ٤٧ و ٤٨ مليوناً . وهذه الاحصائيات ولو انها لا تمت الى القطر المصري بصلة الا انها تظهر للقارئ منزلة بحث توزيع السكان من الوجهة الصحية وما هو متخذ ازاءه من اجراءات هامة في البلاد الراقية

٤ — الهجرة الى أطراف القطر والاجراءات الصحية الواجب اتخاذها نحوها : ان تضاعف تعداد سكان القطر المصري السابق ذكره سيسبب هجرة الاهالي الى الجهات التي تدر عليهم الربح . وهذه الجهات هي بقدر ما تسمح به ظروف الاقتصاد الحالية ، أولاً أقاصي شمال الدلتا حيث بدى في اصلاح الاراضي البور هناك وقسم بعضها الى اقطاعيات لتوزيعها على الاهالي . ثانياً أقاصي الصعيد بسبب زيادة مساحة الاراضي المزروعة صيفاً واستغلال مساقط

خزان أسوان واستغلال موارد المعادن هناك . ثالثاً منطقة الواحات حيث المساحات الشاسعة القابلة للزراعة دون الايدي العاملة الكافية

هذه هي اتجاهات الهجرة المقبلة — وهي هجرة لاحتها الاقتصاد والتجارة وسداها اكتظاظ الاهالي وفقهم . فإذا أعدنا لهذا التغير المنتظر ؟ هل بدأنا نفكر فيما عساه ان يحصل اذا ما ترك الحبل على الغارب ؟ اننا اذا لم ننظر الى ذلك نظرة طب واقتصاد زاد الفقر وعم المرض . اما اذا أعدنا العدة الصحية له فان انقلاباً اقتصادياً كالمُنظر سيكون في مصلحة القطر تماماً . فكما ان العقل السليم في الجسم السليم كذلك الانتاج الجسيم من الجسم السليم . والفلاحون مأوى لعدة امراض من بلهارسيا وانكستوما وديدان معوية ورمد حبيبي وبلاجرا ومالاريا وقراع واكزيما وسوء تغذية وأمراض زهرية وغيرها . هذه العلل في مجموعها تكفي لان تهدك ان أعظم أمة . ولولا وجود الشمس والهواء النقي في قطرنا لما كان هناك انتاج زراعي ولا كانت هناك مشروعات اقتصادية

هذه الصورة الحزنة سوف تتكرر في جميع جهات القطر التي ينتقل اليها الفلاح بحالته الراهنة سواء كانت هذه الجهات بشمال الدلتا او جنوب الصعيد أو الواحات الا اذا اتخذت اجراءات صحية فعالة . فالى ان تتخذ هذه الاجراءات فان البلهارسيا والانكستوما والديدان المعوية والرمد الحبيبي والمالاريا والبلاجرا والقراع والاكزيما وسوء التغذية والامراض الزهرية وغيرها سوف تتضاعف بتضاعف السكان وتنتشر بانتشارهم . فكما ان الفلاح يبذر القطن والقول والذرة والبقول في الأراضي الزراعية الجديدة فهو سوف يبذر فيها بذور البلهارسيا والانكستوما والديدان المعوية والزهرية والرمد الحبيبي والقراع وغيرها . وكما ان قلة الانتاج الحالي راجع الى مرض الفلاح كذلك انتاج المستقبل سيكون قليلاً بالنسبة عينها وللسبب عينه وستتكدف خزانة الدولة الملايين من الجنيهات للصرف في علاج البلهارسيا والانكستوما والرمد الحبيبي والزهرية والقراع الخ كما تصرفها الآن في الريف الحالي

ان للمشروعات الزراعية الحديثة اجراءات صحية لو اتخذت لضمانت نجاحها . وان الزمن الذي كانت فيه القوانين تسن والمشروعات الزراعية والاقتصادية تعتمد دون الرجوع الى الجهات الصحية مضى وانقضى . ففي قناة (بناما) مثال بليغ على إهمال الجهات الصحية بادىء ذي بدىء وهو إهمال انتهى بوقف المشروع بعد المضي فيه . حتى اذا ما أشرك رجال الصحة إشراكاً فعلياً وجعلت لهم الهيمنة عليه نجح وانجز . وحكاية ذلك طريفة يجمل بالانسان تلخيصها . ففي عام ١٨٨١ بدأ (داسبس) حفر قناة (بناما) وصرف فيها الاموال الطائلة ثم تغلبت على رجاله الامراض وانهار العمل بعد ثلاثة عشر عاماً قضيت في الشغل المضي ولم يكونوا قد أنجزوا ما يقرب من النصف وانفقوا فيه ما لا يقل عن ٢٦٠ مليون دولار . وفي

عام ١٩٠٠ لما قامت الحرب بين اسبانيا واميركا اعدت الولايات المتحدة عدتها لحفر القناة وأوفدت بعثة طبية برئاسة الكولونيل جورجاس الى منطقة بناما بعدما اظهر كفاءة ممتازة في تطهير منطقة هاغانا من الحمى الصفراء . فبدأت البعثة عملها وبعد ثمانية عشر شهراً وفد العمال والمهندسون من الولايات المتحدة للحفر . لكن تفشّى وقتئذ وباء الحمى الصفراء فاضطر أمامه الكولونيل جورجاس أن يقف العمل حتى يطهر المنطقة من الوباء . من أجل ذلك قام خلاف مستحکم بينه وبين كبير المهندسين انتهى بأن طلب كبير المهندسين اقالة الكولونيل جورجاس بحجة انه رجل غير عملي . وعرض الأمر على رئيس الجمهورية المستر ثيودور روزفلت وقتئذ فأصدر هذا الرئيس القرار المنتظر من أمثاله وهو يتلخص في اقالة كبير المهندسين وابقاء الكولونيل جورجاس واطلاق يده هناك وتعيينه عضواً باللجنة العليا للقناة . فطهر جورجاس منطقة (بناما) من الوباء ومن ثم قام المهندسون والعمال فأتموا العمل (راجع كتاب وطسون Rural Sanitation in the Tropics ص ١٠٢ و ١٠٣)

وما يقال عن قناة بناما يقال عن المشروعات المماثلة . فانهماش شمال الدلتا وأقصى الصعيد والواحات ومشروعات هامة دائمة غير عابرة . فهي من هذه الوجهة تستحق العناية الصحية لأنها ستكون مأوى لأجيال المستقبل . ولا ريب في ان مشروع الصحة القروية الجديد الذي وضعه معالي الدكتور عبد الواحد بك الوكيل اذا نفذ في تلك الأقاليم سيؤتي ثماراً جيدة بل ان فائدته هناك تكون أضعاف فائدته في الريف المأهول الحالي لأنه سيهيمن هناك على تخطيط القرى والمدن والمصانع والمواصلات ويضمن للفلاحين الذين يستوطنوا تلك الجهات مأوى صحياً وماءً مرشحاً كافياً للشرب والاستحمام ومراكز للإشراف الصحي وغير ذلك من خيرات هذا المشروع الجليل . والتنفيذ في المناطق البكر أسهل عملاً وأضمن فائدة من التنفيذ في مناطق ملوثة . فمناطق شمال الدلتا اذا خططت تخطيطاً صحياً وزراعياً وخصصت فيها مواقع القرى والعزب والمدن الخ . وبدىء فيها بتنفيذ مكافحة الحفاء ووضعت الاشتراطات الصحية لكل مستعمر أسوة بما هو متبع في الشركات أمثال شركة مصر الجديدة والمعادي وحدائق القبة ولكن بما يتفق مع أحوال تلك البلاد المعاشية الريفية وقدرة الاهالي الحالية — أقول اذا اتخذت أمثال هذه الاحتياطات الصحية ضمن المشروع نجاحه التام

ان المادة الثانية من القانون رقم ٦٩ لسنة ١٩٣٣ الخاص بالعزب تحتم أن لا تنشأ عزبة إلا بعد الترخيص بها أثر موافقة مجلس المديرية . والمادة الثالثة تشترط أن يقدم طلب الترخيص الى المديرية بمعرفة المالك أو من يقوم مقامه ويجب أن يرفق به رسم الموقع المراد انشاء العزبة فيه ورسم مبايعتها و (١) أن يكون لكل عزبة في الجهات التي لا يتيسر فيها

الحصول على مياه النيل الصالحة آلة رافعة للمياه في النقطة التي يمكن الحصول فيها على مياه صالحة و (٢) أن تكون المباني ذات منافذ كافية بحيث يتخللها ضوء الشمس والهواء و (٣) أن تدك أرض حجر السكن بطبقة من مادة صماء ... وأن تطل جدرانها بمونة البياض ... وترش بالجير و (٤) عمل مرحاض قروي في كل منزل أو انشاء مرحاض صحية عمومية لكل صف أو أكثر من منازل العزبة و (٥) تخصيص محل لوضع السماد العضوي (سباخ المواشي) وجاء بالمادة الرابعة انه لا يجوز الترخيص بالانشاء عزبة تكون حدودها الخارجية على أقل من ٢٠ متراً من حصر النيل أو المصرف و ١٠٠ متر من جبانة و ١٠ أمتار من طريق زراعي و ٣٠٠ متر من بركة بحرية و ٢٠٠ متر من بركة في جهة أخرى

تلك شروط صحية تتمشى مع عادات اهل العزب ومستواهم وحالة معيشتهم وقدرتهم المالية الا ان هذا القانون لم يتعرض لنوع مباني العزب وأغلبها من اللبن او الطوب . كذلك لم يتعرض القانون للسقوف ولا للارضيات لمنع الرطوبة ولا لتحديد مساحة الفتحات ولا لا مكنة ربط المواشي . كما ان الاشتراطات الخاصة بالمسافة بين كل عزبة وبين النيل والمصرف الخ . وهي اشتراطات مرضية ، لم تراعى فيها علاقة العزب بعضها ببعض ولا العزب بالمدن . ومنطقة مثل منطقة شمال الدلتا يجب أن يعين فيها مكان كل قرية وكل عزبة بما يتفق مع المسافة المزروعة والمواصلات والمدن الحالية والمستقبلية وطريقة تصريف المحصول في المستقبل . فهذا المشروع يتطلب نظراً أبعد كثيراً من النظر الحالي ولا يجوز تحديد شروط العزب الصحية وفقاً لرغبة المالك واختياره فالعزب يجب ان تكون ملك الدولة او على الاقل خاضعة في تأسيسها للجهات المشرفة على صحة الجمهور وأمنه وتوزيعه ورخائه

ألا يصح ان يعدل القانون المذكور بما يكفل ذلك وان تبين الاشتراطات الصحية الضرورية بالقياس الى موقع العزب وتخطيطها ومنازل فلاحها فلا يسمح ببناء عزبة في أراض منخفضة ولا بالقرب من مباني أخرى وان يخصص في كل عزبة حوش كبير للاجتماعات الدينية وغيرها وان تخصص اماكن لحزن المحصول لحين تصريفه وغير ذلك وان يكلف صاحب كل عزبة الاشراف على نظافتها وكل فلاح تنظيف الطرقات والحوش . كذلك يجب مراعاة تطهير المساقى والمصارف القريبة حتى لا تركد فيها المياه ويتوالد بها البعوض

هذا فيما يتعلق بالمناطق الزراعية الجديدة . اما المناطق الزراعية الحالية فتترك امرها لمشروع تحسين القرية . واما المناطق الصناعية الجديدة وعلى الاخص ذات العلاقة بكهربية اسوان كالتعدين وغيره فأمر على جانب كبير من خطر الشأن الصحي وتقتضي وضع التصميمات واتخاذ الاحتياطات الصحية من الآن ، حتى اذا بدىء في بحشه كانت جميع الارشادات والاشتراطات الصحية جاهزة كاملة

وللموضوع أيضاً وجهة أخرى غير ما ذكر خاصة بالآهالي الذين يرغبون في استيطان المناطق الجديدة . واني أرى أن أمثال هؤلاء لا يجوز ان يسمح لهم بالاقامة بتلك الجهات الجديدة الا بعد معالجتهم من جميع الامراض وتحصينهم ضد الأوبئة وتدريبهم عملياً على أعمالهم الفنية . وليكن في مشروع الجزيرة بالسودان درسٌ بليغ لنا ، ففي الاجراءات الصحية التي اتخذتها حكومة السودان مع العمال الذين أرسلوا الى تلك الجهة لبناء خزان سنار مثال طيب يجب السير على منواله في المناطق الزراعية المزمع توزيعها على الآهالي . فالكشف الطبي على العمال في وادي حلفا لضمان خلوهم من الأمراض كان خطوة اولى قبل السماح للعمال بالسير الى سنار . وكان أيضاً عاملاً عظيماً في جعل تلك المنطقة خالية على قدر الطاقة من آفات الفلاحين المصريين أو الآفات غير المنتشرة هناك على الأقل . ان اجراءات من هذا النوع تحدث كثيراً من انتشار الأمراض فاذا ضمت اليها الاشتراطات الصحية السابقة وأنشئت ادارة صحية محلية هناك ضمن السكان في تلك المناطق صحتهم وهناءتهم

ونحن نذكر هنا من قبيل المثال حادثة يصح ان تكون درساً لا ينسى لسكل من يهيمه أمر توزيع الأراضي البور واستغلالها زراعياً . فمن سنوات فكر بعضهم في تطهير القاهرة من الأطفال المتشردين بارسالهم الى تقايش الأراضي البور بالوجه البحري راجياً بذلك اصابة عصفورين بحجر واحد . فأرسل هؤلاء المتشردين على عجل دون الكشف عليهم طبيباً واتخاذ الاحتياطات الصحية لهم في محل اقامتهم . فكانت النتيجة مطابقة تماماً لمشروع حفر قناة بناما في عهد رآسة (دلسبس) فانشرت بينهم الامراض والعلل . مع ان علاجهم كان أيسر جداً في القاهرة قبل ارسالهم الى تلك الجهات السحيقة . فكانت هذه محاولة خاسرة لقد كان للغارات الجوية الأخيرة على الاسكندرية وغيرها تأثير عظيم في رجال الصحة المسؤولين . ففي عام ١٩٤٠ كان يرد على القاهرة آلاف المهاجرين يومياً بدون سبق انذار وكنت اذ ذاك متولياً أعمال مفتش صحة المدينة فقام التفتيش في الاشراف الصحي على اعداد المحلات وتأنيثها والكشف على المهاجرين حال حضورهم وتطهير أمتعتهم القدرة وتوفير استحمامهم وعزل المصابين منهم بأمراض معدية وتحويل المصابين بأمراض أخرى الى المستشفيات المختصة مع مراقبة اغذيتهم والاشراف الصحي اليومي عليهم . وتحصينهم ضد الأمراض المعدية فلما اتخذت جميع هذه الاجراءات سلمت القاهرة من خطر الهجرة وسلم المهاجرون من الامراض ولم تحدث اصابة واحدة بمرض معد بينهم منشؤها الهجرة

تلك ملاحظاتي عن توزيع السكان بالقطر المصري وطريقة معالجتها . وللموضوع منزلته العظيمة في صحة المجتمع وقوة انتاجه ورخائه . ولا شك ان هذه المنزلة جديرة بالعناية به في قطر كبلادنا يصبو الى التقدم والاصلاح

موكب الخريف^(١)

عمرنا من مررم بك

الريح تنفث نفثة الممضى وللأنهار شكوى
والطير ترسل لاعج الـ أدواء في الأسحار شدوا
فتغص عين بالدموع وتمتجيش البث نجوى
والشمس تُنشر من خلا ل السحب شاحبة وتطوى
فكأنها دنف يسا وره الضنى عضواً فعضوا
سممت جوارحه الفرا ش ولم تعد تغنيه سلاوى
والغصن في اطراقه متضرع شفته بلوى
واذا الغصون تمايلت حكمت الذبيح اذا تلوى
كم منظر ترك القوا د يذوب من فرط الشجون

تلقى فسيح الأفق عن حبك الغمام يضيق صدرا
يحكي السحاب البحر في اثباجه مداً وجزرا
متجهماً كالليث ما ينفك صعب الخلق وعرا
فيخال من رصد الفضاء قد استحال الأفق بحرا
واذا الرياح تناوحت سالت جفون السحب قطرا
واذا تملكك الشجون ن السحب، أض الماء جرا
والريح في كبد الفضاء تضج كالباكين حسرى
فكأنها الشكى تلهـس تحت جناح الليل قبرا
عي اللسان عن البيا ن فأفصح الدمع الهتون

وترى الشقائق أطبقت جفناً وألوت بالرؤوس
كخبيل عصفت بهم جتته حمياً الخندريس
ان قام أقعده العيا وعاقه خور النفوس

تلقاه حين تخلصت رجلاه كالطير الحبيس
وشجا الشقائق ما دها الصنفاف من يوم عبوس
خلعت غصونُ الدوح عن اعطافها بردَ العروس
واستبدلت بمطارف الحسناء أكفان الرموس
دهرٌ جرت أفلاكه حين استدارت بالنحوس
والقلب ينزو من أسي في الصدر كالطير السجين

تلقى الطبيعة في الخريف تغط في نوم ثقيل
ملك العياء على الطبيعة نشوة الأمل الجميل
فالأرض في صمت المريب ووحشة الدنف العليل
تحكي بوحشتها الخليل أمضته فقد الخليل
فأشاح من مريض عن الذكرى بغصّات القليل
أو كالسقيم يغض من طرفٍ ويطرق عن ذهول
يا ليت شعري ما الذي أغرى الطبيعة بالتحول
أمضتها فقد الأليف ولاعج الداء الويل
نفقت كمحزون تنا زع قلبه الألم الدفين

ألفت كره الدهر يُنسي المرء أوطاناً وجارا
وحوادث الأيام تسدل دون ما نهوى ستارا
لكن جرحي لم يزل في الصدر يستعر استعارا
لم يُطفئ فيض مدامعي للث في جنبي نارا
أو تنسي الأيام فقد أخي وتمنحني اضطبارا
أأروم بعدك يا أخي سلوى وقد بدلت دارا
وغدوت رهن حفيرة كالشوا تعنق القفارا
اني اذا ضيعت عهدك يا أخي وأتيت عارا
هيات ينسيني الزما ن العهد أو كره السنين

ذباب

قصة

عبد الوهاب الأمين
بغداد

نقلها

لايفان كانكار
الاديب السلوفيني

« ولد ايفان كانكار — أعظم أدباء سلوفينيا — وهي جزء من يوغوسلافيا في سنة ١٨٧٦ وتوفي في سنة ١٩١٨ وهو مؤلف كثير من الروايات والمسرحيات والاقاصيص . وقد قرض الشعر وكتب في الادب . « كان مسقط رأسه في « فرنيكا » قرب مدينة « لوبليانا » وطاش في صباه فقيراً معدماً ثم هاجر من سلوفينيا الى « فينا » عاصمة النمسا (وكانت سلوفينيا آنذاك تحت حكم النمسا) ، فنبغ وظهر شأنه في عالم الادب ، ولكنه مع ذلك عاش مدة طويلة بائساً فقيراً يشتغل بالصحافة الحرة . وقد أشعلت النار في الطبعة الاولى من ديوانه بأمر من أسقف « لوبليانا » لأنه عدّه منافياً للآداب العامة . وأدبه على وجه العموم دليل واضح على تعمقه في دراسة النفس الانسانية وهو مفرغ في قالب بسيط الاسلوب قريب من الامثال ويتصف بعطف خاص على الطبقات المظلومة »

كان لجاري ابن وحيد في السادسة من عمره ، جميل الطلعة وسيم الملامح وممامة تفوق الحد الطبيعي ، وشعره أصفر — كالشعير الخالص — يصل الى كتفيه . يوم منظره الجاني الناظر بأنه تمثال من الرخام ، وخداه الأملسان يكادان يكونان خدي بنت ، وفي فكه فقط يبدو شيء من البروز والطول والشدة . وعينه — وهما زرقاوان لماعتان — تبدوان شديدتي المكر ، وفي نظرتيها شيء من الثقة والعزم . كان هذا الصبي عندما دخلت الغرفة ، واقفاً امام حوض الغسيل ، وعليه سماء التفكير العميق ، فالتفت اليّ ببطء وسألني بصوت خافت هادئ : —

— هل رأيت قبل هذا ذباباً يموت ؟
— كلاً

— حسناً ! تعال وألق نظرك

وكان حوض الغسيل مملوءاً حتى الشفة تقريباً . وعلى وجه الماء طفت مجموعة كبيرة من الذباب الميت ، وقد تجمعت كأنها تريد ان تدرأ عن نفسها الموت . فديده واصطاد تلك الاجسام السود الميتة ورمى بها الى الأرض ، ثم ذهب تَوّاً الى فراشه المعد له ، وكان الذباب

فوق أعطية الفراش ، وعلى الوسائد ، فاصطاد قبضة منه ، وأطلقها جميعاً ما عدا ذبابة واحدة ، فرمى بها في حوض الغسيل قائلاً : — انظر الآن ملياً !

في اللحظات الاولى كانت الذبابة تطفو هادئة على وجه الماء ولا تزال أجنحتها جافة لم تبلل . فقال الصبي : — انها لا تدري بعد أين هي الآن !

فأخذت تطفو هنا وهناك ، وترفع أجنحتها وتذهب في كل اتجاه

— لقد أدركت الآن ! انها تحاول أن تجد لنفسها مخرجاً ! ثم وقف على اطراف

اباهيمه ورنأ بطرفه الى حوض الغسيل وقال : — انظر ! ان الذبابة حيوان شجاع ، ولكن حمقها بقدر شجاعتها ! ان سلاحها الوحيد هو الجناحان ، ولكنها مع ذلك تضرب بهما في الماء حتى لقد ابتل احدهما ! . . ومع هذا فهي ليست من الحمق بقدر ما خيل الي ، ولعلها سمعني ! لقد وقفت تستريح وتحاول تجفيف جناحيها

ولما استراحت قذفت نفسها بسيقانها الست وأخذت تعلوم متجهة نحو الشاطئ ، وعيناها الهائلتان — وقد بدتا اكبر من كيانها كله — تحملقان في بياض حوض الغسيل !

فألقى الصبي الى الماء حتى كاد وجهه يبتل ، وقال : لكأني أسمع حفيف جناحيها ! ومضت الذبابة في عومها قدماً نحو الساحل . فأعادتها موجة متراجعة ، ولم تستطع اقدامها المبتلة ان تجد لها ممسكاً على وجه البلورة الناعمة . فعادت كما كانت ، وأصبحت ، وهي تحاول الاستراحة ، تمنع في الابتعاد — مرغمة — عن الساحل ، ولكنها اندفعت فجأة ، بعامل اليأس والقنوط ، الى الامام . فتكونت في الماء رابية . واعادتها الموجة الى فوق وهي جافة فاستجمعت كل قوة املها ورفعت نفسها عالياً ، وقد سقط رأسها وفيه تانك العينان العظيمتان الى أسفل . وأخذت سيقانها المتزحلقة تبحث عن فجوة لها . وشرعت تزحف شيئاً فشيئاً فوق الحافة الملساء . واخذت تحاول ان تخفف عن نفسها بتحريك الأجنحة ، ولكنها كانت مبتلة ملتصقة وميتة بجوار ذلك الجسم المنهوك ، وكان أسوأ ما في الأمر انها لم تكن تستطيع الاستراحة لأنها كانت تنزلق الى الهاوية عند كل وقعة تقفها . وأخيراً وصلت الى القمة ، حيث كانت حافة الحوض مقوسة تقوساً فسيحاً ، وهناك استراحت طويلاً ثم شرعت تمدد سيقانها وتمسح الواحدة بالأخرى . وكذلك كان جناحها أيضاً يرتجفان . فقال الصبي : انها تظن نفسها قد نجت الآن ! ما أشد لمعان عينيها الكبيرتين ! وابتم بيرود ، وهو يشير بسبابته الى الامام . واندفعت الذبابة في الماء وبلغ من قوة اندفاعها انها غطست فيه عميقاً قبل ان تستطيع العودة ببطء ومشقة الى سطحه ، وهناك تأرجحت بهدوء قليلاً كأنها ميتة ، وقد بدت أصغر مما كانت عليه أولاً ، فظهرت وكأنها لا تكبر البرغشة شيئاً

فأشار الصبي قائلاً : — لقد أصبح جناحاها الآن بدون جدوى وكذلك كانا هما في الحقيقة لا يتأثرهما النظر . وقد التصقا بجسمها كأنهما قطعنا نسيج مبلول ، وقد حركت سيقانها قليلاً ثم فاءت الى السكون مرة أخرى قال الصبي : — والآن انها تكاد تموت من مجرد الخوف ، فهي لا تستطيع أن ترى الشاطئ الآن مرة أخرى ولكنني سأوقفها !

قال ذلك وذهب قدماً الى الفراش وقبض على ذبابة أخرى ورمى بها في الماء دافعاً إياها بأصبعه نحو الذبابة المشفية على الموت . وكانت هذه الذبابة الأخيرة تبدو أصغر من الاولى وأقوى لانها اندفعت هائجة في الموج ، رافعة نفسها بقوة ، وجناحاها يؤززان ازراً . وكان ازيزها هذا يشبه صلاة بحار ناء قد أشفى على الموت غرقاً غير انه عزم على ان لا يموت ! وعند ما هدأت دارت دورة كاملة ونظرت حوالها يهدوء فأخذت الذبابة الاولى تعود اليها الحياة عند ما سمعت بشريكتها في الغم والكرب وبدأت سيقانها النحيلة تلبط لبطات قصيرة وخفيفة . فوجه الصبي نظري قائلاً : ان الذباب مخلوقات لا قلوب لها ! فقد تكون هاتان الذبابتان أختين ، او قد تكونان لنتين تلعبان معاً . ولكن انظر ماذا يحدث الآن !

كانت الذبابة الثانية قد شعرت — وهي تلقي بنظرها الى سطح الماء واقفة — بالذبابة الاولى تسمح بقوة اليأس نحو الساحل وقد ترصدت عيناها الجرف اللامع الأملس ، فضربت الماء بضع ضربات قويات وانقضت عليها ودفعت بها الى أسفل ، كما يفعل من تحطمت سفينته فيتعلق بقوة بسارية طافية . فقاومتها الاولى مقاومة لم تستمر الا دقيقة أو دقيقتين واستنفدت كل ذرة من قوتها لكي تدور نصف دورة من تحت الماء وترى ما حوالها . ثم استدار رأسها الكليل تحت تلك التي ركبت فوقها بدون رحمة . ثم ضمت سيقانها جميعاً حو الي جسمها . فأعلن الصبي قائلاً : هذه هي الخاتمة !

واندفعت الذبابة الثانية مبتعدة عن الاولى وقد ابتلت عيناها ، وهي تعوم بقوة وشجاعة في اتجاه الساحل وهو عكس اتجاه الاولى تماماً ، فراقبها الصبي مبتسماً ابتسامة خفيفة وقال : — على رسلك أيتها السابحة الشجاعة . ثم اخذ عود ثقاب من فوق المائدة التي قرب الفراش وأغرق الذبابة الى عمق ثلاث عقد تحت الماء ، ولما أطلقها شرعت تصعد عائدة يبطء كأنها تتسلق خيطاً ، وهي متجهة نحو الساحل قدماً ، وأخذت تنتفض لتجفف جسدها غير أن جناحيها كانا مثقلين بالماء لا يتحركان الا بصعوبة . ثم اشرأبت تنظر في كل اتجاه ، وتقيس المسافة الى الساحل بكل حذر

وغمست ستة من المجاذيف في الماء ! ست سيقان دقيقات قويات ! وسبحت وهي تخفق

الماء خفقات متواليات مليئات عزمًا ، كما يفعل البحار الذي خبر طرق البحار وهو يعرف مدى قوته والهدف الذي هو أمامه . فقال الصبي : انها قادرة ! ولعلها احدى اللواتي حاولن الهروب عندما ذهب لآتي بغيرهن . لقد كان في الماء وقتئذ عشرون ذبابة بالضبط ، ولما عدت لم يكن هناك سوى خمس عشرة واحدة . والآن !

وصلت الساجحة الشجاعة الى الساحل في وقت قصير جدًا . ثم وقفت هنيئة لكي تدع الموجة المقبلة تدفعها الى الجرف المنحدر . فقال الصبي : انها لتستطيع أن تفعلها ! انظر اليها أين سبحت ! لقد اتجهت الى النقطة الصغيرة التي فيها ضوء الشمس ! وكان شعاع من شمس الصباح يضيء وجه البلورة الناعم . وهناك تشبثت الذبابة بسيقانها الممتدة كما تنفادى السقوط الى أسفل

— لقد اكتسبت خبرة ، وهي تريد أن تحفف جسمها ، وتنفادى تعب التسلق الى القمة ! وشرعت تنظف سيقانها وتحفف وجهها بتؤدة واحتراس وهي لا تزال معلقة في المنفرج الاملس الذي يكاد يكون عموديًا ، ولكنها كانت متعلقة بثبات ، لأن سيقانها جفت بسرعة في ضوء الشمس ، وفارقت أجنحتها جسدها وخفقت خفقة خفيفة . وكان الصبي يرقبها بعينين ترقان فقال : والآن !

ولمرة الثانية دفعها بأصبعه فزلت منقضة في الماء الى قعره تقريبًا ولما عادت الى سطحه مرة أخرى ، كانت سيقانها منتشرة ، وأجنحتها ترتجف ، ثم كرت ثانية نحو الساحل ، ولم تعد الآن تسمح بعزم كزمها السابق ، بل أصبحت أشد سرعة وأقل ثقة بنفسها ، وتلك علامة القلق وغشاوة البصر كليهما . فقال الصبي بحث هادئ : —

— انها ستعيد الكرة ، وستكون كالآدمي تمامًا . ما أثقل تنفسها ! . هناك منهم من لا يستطيع الوصول الى الساحل أبدًا ! ومن الغريب أنهم لا يصرخن باكيات !

وفي الحق لقد وصلت الى الساحل واستراحت هناك ، فأعادها الى الماء مرة أخرى لكي تعوم بجانب الذبابة الاولى التي كانت تتأرجح هناك وهي تموت

— انها لن تسبح طويلاً الآن ! انها لتشم رائحة الموت ومقبرته ! وأنا نفسي لا أرغب في أن أضطجع الى جنب رجل ميت ، وأظنني لو فعلت ذلك أموت رعيًا فور الساعة في ذلك المحل . . . سوف ترى ملوك الذباب بين يدي الموت !

وقبض قبضة كبيرة من الذباب وطوح بها في الماء ، فعادت تلك الكومة السوداء خليطًا مضطربًا دائرًا ، وأخذن — من خشية الموت — تصدم احداهن الأخرى وتدفعها تحت الماء بقوة وبدون رحمة . فكرر الصبي قوله : من الغريب أنهم لا يصرخن باكيات !

وعندما عادت الكومة تتضاءل قليلاً — والظاهر أنهم كنّ يردن الابتعاد جميعاً عن الذبابات الميئنة — أعادهن مرة أخرى بعلبة الكبريت . وبدأ الصراع من جديد ، وأصبح من الصعب تمييز الذبابات واحدة واحدة في ذلك الخليط المتكدر . فشرع الصبي يقول متفلسفاً : — لقد كانت الذبابات جميعاً حاطة من قبل بهدوء ورضى على الوسائد ... ولا بد أن يكون بينها أمهات وأطفال ، وأخوات ، ولكنها لا تتعارف الآن ، بل تريد كل واحدة أن تقتل الأخرى فقط ! كذلك كان يتفلسف ! وكان خلال ذلك الوقت عاملاً على إعادة كل هاربة منهم إلى الكومة . وكذلك مضى في اللعب بهم إلى أن أدركهم الأعياء — فشرعت الواحدة منهم تلوي الأخرى — تطبق أجنتها وسيقانها على جسمها وتبدي رأسها المبتل في الماء . وهنا حدث أمر عجيب . فبينما كنّ من قبل تهاجم الواحدة منهم الأخرى ، أخذن الآن — في هذه اللحظات القلائل الأخيرة — يتقاربن ويتجمعن ، وتضم الواحدة منهم جسمها إلى الأخرى حتى تكونت منهم أخيراً كتلة كثيفة متجانسة تتأرجح على الماء المتأوج ! — سأريك الآن كيف تموت الذبابة وهي بين يدي الموت ! وقبض على ذبابة واحدة ووضعها بعناية فوق الكتلة السوداء ، فتلفتت مراراً حولها ، ثم استقرت ساكنة وعيناها الكبيرتان تلمعان . فأشار الصبي بجذله : —

• — انها تعرف الآن انها بين يدي الموت !

لما حاولت الذبابة ان تقوم بقوة ولكن التيار اضطرها الى ان تنزل أكثر فأكثر بين الأموات الذين كانوا يحيطون بها من كل جانب ، وكانت أجسامهم الباردة المبتلة تصطدم بها ويعيونهم التي صميت تحملق . وعلى حين غرة وبدون أن تكافح كفاحاً ما ، طوت أجنتها على جسدها ورمت برأسها في الماء . فقال الصبي موضحاً : — لقد كانت هذه الذبابة تستطيع ان تسبح نصف ساعة ، وربما كانت تستطيع الوصول الى الساحل ، لأن أجنتها لم تبتل . ولكنها ماتت رعباً ! . ثم قبض على الكومة كلها ورمى بها من النافذة الى الساحة ... الى الصباح المشرق في الربيع

وفي العشية ، كنت جالساً قرب النافذة في غرفتي التي بنظري الى الساحة ، وكان الأطفال يلعبون هناك والفتيات الصغيرات قد ارتدين أثواباً ذات ألوان فرحة زاهية تلمع في ضياء الشمس ، وكان صاحبي جالساً بينهن على الرمل . فكنت أرى نظراته الشديدة الباردة وشعره الجميل الذي يلمع كالذهب الخالص ، والفتيات يتراجمن حوله وهن غياري ، ولكنه بقي من الهدوء والبرود كما كان بجانب كومة الذباب

فداخني منه رعب صامت !

سوريا

في الرحلات الإسلامية^(١)

لنقولاً زيادة

كانت الرحلة عنصراً قوياً في حياة المجتمع الاسلامي في عصوره الزاهرة . فقد رحل الناس لزيارة مهبط الوحي ، ولقوا في سبيل ذلك الكثير من صعاب السفر التي تحملوها راضين مسرورين . ورحل الناس في طلب العلم من قطر الى آخر . فقد كان العلم منتشرةً مرا كزه في انحاء العالم الاسلامي ، وطلابه كانوا يتحملون المشاق في سبيل الحصول عليه ما يحملنا على احترامهم واجلالهم . ورحل القوم في سبيل الاتجار . فقد كانت الاسواق الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها مرتبطة بعضها ببعض كل الارتباط ، وكان التجار يحملون متاجرهم وسلعهم الى حيث يرجون الربح الوفير . أضف الى كل ذلك رحلة المتردد بين الملوك والامراء ، والمغامرين الواجدين في الرحيل لذة خاصة ، والساعين في سبيل الرزق اذا ضاقت بهم ارضهم ، وجوآبي الآفاق . كل هذه نماذج من الرحلة عرفها العرب والمسلمون . وقد شجعهم على الاستزادة منها خضوع العالم الاسلامي برقعته الواسعة لدولة واحدة بادي الامر . فلما ذهبت الوحدة السياسية بقيت وحدة الدين ووحدة اللغة . وهاتان ربطتا الحاج وطلاب العلم ورسلا السلاطين وحملات البضائع وزعماء الصنائع ، فاحتفظوا بالصلة . بل لعل الرحلة كانت أقوى في عهد التفرق السياسي منها قبلاً لاعتقاد العالم الاسلامي درجة من المعيشة ، ونوعاً من الحياة ، ولوناً من التفكير ، تهتجهم على افراده معه الاتصال والتجارة والتبادل الفكري والادبي

وقد دون كثير من رحالي المسلمين اخبار اسفارهم وتنقلهم . فذكروا المدن التي هبطوها ، والمسافات التي اجتازوها ، والصعوبات التي تغلبوا عليها ، ووصفوا البلاد وزروعها ، وقيدوا مشاهداتهم على صناعاتها وتجارها ، وأتوا على وصف حياة السكان فعرضوا : للطيب من عاداتهم بالمديح ، وعابوا ما فيهم من ضعف ، كالذي انتقده ابن جبير من عادة اهل دمشق في تحيتهم وصفة سلامهم ، فقال عنهم « وهذه الحالة من الانعكاف

(١) حديث أذيع من محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية

الركوعي في السلام كنا عهدناه لقينات النساء فيا عجباً لهؤلاء الرجال كيف تحلوا
بسمات ربّات الجمال»

وهذه اللفتات التي نعثّر عليها في مذكرات السائح هي التي تميزه من الكتّاب الجغرافيين. فهذا
يسأل ويستقصي ويحقق ويحاول أن يشمل كل جزء من المنطقة التي يعرض لدرسها. أما الرحلة
فينقل ما يشاهد، وتكون صورته جزئية، ولكنها ثمينة في هذه الناحية. فبينما المقدسي أو
أبو الفدا يذكران كل شيء عن إقليم الشام، نجد أن ابن جبير، وهو سائح،
لا يتناول مدن الغور أبداً لأنه لم يصل إليها، وابن بطوطة يذكر جنوب سوريا وخاناته
وأماكن المكس والتفتيش لأنه جاء البلاد برّاً من مصر

وقد حفظ لنا التاريخ عشرات من مذكرات الرحالين المسلمين، أكثرها باللغة العربية،
وبعضها بالفارسية أو التركية. لكن التي أريد أن أعرض لها الآن هي الرحلات التي كتبت
بين أواسط القرن الخامس للهجرة وأواسط القرن التاسع. وهذه يربّي عددها على العشرين،
وهي تحوي أسماء البيروني صاحب الآثار الباقية الذي تناول الهند، وابن بطالان الذي وصف
انطاكية وما إليها في رسالة إلى صديق له ونقل عنه ياقوت كثيراً من المعلومات عن تلك
الجهات، والمازني الغرناطي والسائح الهروي وعبد اللطيف البغدادي والعبدري والبلوي
ويشيك. فالعبدري المغربي رحل للحج في أواخر القرن السابع (٦٨٨هـ، ١٢٨٩م) فسار في
ساحل شمال أفريقيا إلى الاسكندرية ثم ارتحل برّاً إلى مكة. ووصف المصاعب التي لقيها في
الاسكندرية على أيدي مفتشي الكوس في الميناء، حتى أنه لعنهم. والبلوي أندلسي من
أهل القرن الثامن جاء للحج فرّاً بتونس والاسكندرية والقاهرة وقضى بعض الوقت
في القدس. والرحالون الذين يعنيننا أمرهم، هنا، من حيث علاقتهم بسوريا على وجه خاص هم
أربعة: ناصري خسرو وابن جبير والهروي وابن بطوطة

وناصري خسرو فارسي الأصل ولد بالقرب من بلخ (٣٩٤هـ، ١٠٣٣م) ونال حظاً
وافراً من الثقافة والعلوم وزار الهند وعمل في بلاط الغزنويين. ثم عاد إلى فارس وشغل
منصباً كبيراً عند السلاجقة. وكان منغمساً في التلاهي والملاذات حتى تراءى له ذات ليلة رجل
في الحلم نهاه عن المعاصي، وأخبره أن زيارة البيت الحرام هي سبيل التوبة النصوح. فكان
لهذا الحلم أثر بالغ في تغيير حياته. فأقلع عما كان فيه حالاً وسار للحج في العام التالي. فرّ
بطريقه في سوريا وقضى فيها أربعة أشهر في السنة (٤٣٨هـ، ١٠٤٧م)

أما ابن جبير فهو أندلسي من أهل القرن السادس للهجرة وكان من أعلم أهل زمانه بالفقه
والحديث والمشاركة في الآداب، بشهادة إسماعيل الدين بن الخطيب. رحل ثلاث مرات وحج،

وزار سوريا في زمن صلاح الدين، ثم استقر بالاسكندرية فحدث الى أن توفي . وقد وصف في آخر حياته بالفقيه الزاهد المنقطع الى الله

والسائح الهروي عاصر ابن جبير وهو هروي الأصل لكنه ولد في الموصل ثم نزل حلب وطاف البلاد وأكثرت الزيارات . ولعله لم يترك مكاناً فيه مقام أو قبر أو مسجد لم يزره . وقد كتب رحلته « الاشارات في معرفة الزيارات » من الذاكرة لان معظم كتبه وقع في أيدي الصليبيين . وقد وصف الهروي نفسه بقوله . وانا مما لا أشك في قوله ولا أظن في حديث الا انني ذكرت ما شاع خبره وذاع ذكره بطريق الاستفاضة . ورحلة السائح الهروي لم تطبع بعد

ورابع رحالينا هو ابن بطوطة . وهو طنجي المولد من اهل القرن الثامن للهجرة . خرج من بلده حاجاً ثم بدأ الرحلة . فزار الشام والعراق وفارس واسيا الصغرى وجنوب روسيا وافغانستان ودهلي حيث عمل قاضياً . ثم زار الصين والهند وسيلان والسودان وتوفي في مراكش هؤلاء الرحالون يرسمون لنا صورة نفيسة من حياة سوريا . فناصرى خسرو زارها كما رأينا قبيل الحروب الصليبية ، وابن جبير جاءها أيام صلاح الدين ، وابن بطوطة وصفها أيام المماليك . وناصرى خسرو وابن جبير ، بحكم الثقافة العالية التي حصلوا عليها ، ودقة الملاحظة فيهما ، وصفاً وصفاً دقيقاً كثيراً من الامور التي شاهدها . فوصف ناصرى للحرم الشريف بالقدس من أدق ما وصل اليه ، ولعله اول من ضبط ابعاد الاقصى وقياساته . ويلاحظ هذا السائح ابواب المدن واتجاهها ، وميناء عكا وصناعات صور وصيدا ، ويعنى بمصادر المياه في كل بلد وتستوقف نظره كثرة الرخام في الرملة ، ولعل من أدق ملاحظاته ما ذكره من ان قرى القدس تقوم على رؤوس الجبال او سفوحها . ثم هو لا يغفل زهر النرجس الذي يكسو بقعة من الارض الى الغرب من حماة ، او الوردتين الجميلتين اللتين رآهما في جبيل بيد صبي في شهر شباط (فبراير) ، والاشجار التي تكسو الطرق حول كفر سابا في فلسطين . والمدن الداخلية التي نالها حظ الوصف في رحلته هي حلب وحماه وطبريا وبيت المقدس أما باقي ما كتبه فهو عن مدن الساحل . فهو يذكر ان حلب تتمتع بيسار ورخاء اذ تلنقي عندها طرق التجارة الشامية والرومية والعراقية والمصرية ، ويحدثنا عن أبي العلاء عند مروره بالمعزة ، فقد كان لا يزال حياً . ويصف طرابلس بقوله « أرباض المدينة تملأها البساتين وقصب السكر ينمو هنا بكثرة ... ومثله البرتقال والليمون والتمر ... وقد كانوا أيام وصولنا يستخرجون عصير قصب السكر وفنادق المدينة تتألف من اربع طبقات لو خمس وقد تصل الى ست ... وبيوتها وامواقها حسنة البناء نظيفة ... وفي المدينة مكاتب

لغرض الضريبة الجمركية على السفن القادمة الى المدينة من بلاد الروم او المغرب او غيرها ... وللسلطان - أمير المدينة - سفن تحمل تجارته الى بفسطية وصقلية والغرب - وأهل طرابلس كلهم شيعة . ولما وصل ناصري خسرو صيدا بهره ثراؤها وزينتها فقال « أسواق المدينة بهية الزينة حتى ظننت انها زينت لمناسبة قدوم السلطان او لأمر آخر مبار . فلما استقصيت عرفت ان ذلك أمر عادي » . وقد كانت صور في الوقت الذي زارها فيه ناصري خسرو ، من أكبر مراكز التجارة البحرية . يدلنا على ذلك وصفه لفنادقها بأنها ذات خمس طبقات اوست ، ولشوارعها بأنها نظيفة « تدل على الثروة الهائلة » . وصور معروفة « بفناها وقوتها بين المدن السورية الساحلية . وأكثر مكانها شيعة لكن قاضيها سني ... » وينقل في مدن الساحل من المدينة الى الاخرى حتى يمر بقيسارية ثم يتجه الى الرملة . وبعد أن يصف هذه المدينة الكبيرة وبيوتها المبنية بالرخام وهو كثير فيها يذكر طريقة تقطيعه أمحدة أو ألواحاً بمنشار غير مسنن . وفي القدس يعني ناصري خسرو بزيارة الأماكن المقدسة جميعاً ويلاحظ ان شوارع المدينة مبلطة ، ويعطينا عدد السكان على انه عشرون ألفاً . ثم يقول « والارض في نواحي القدس مستغلة استعمالاً طيباً . والزيتون هناك كثير ويبلغ الدخل السنوي لبعض كبار المثرين هناك نحواً من خمسين ألف من (يقابل ٢٠٠ تنكة) » . ويقول ناصري خسرو ان القمار المجموع من مياه البحر الميت يستعمل في ملأ الاجزاء السفلى من الاشجار لحفظها من الديدان ، ويستعمله الصيادلة للمحافظة على العقاقير من الحشرات وابن جبير دقيق في ملاحظاته ، شديد العناية بالناحية الاجتماعية . فهو يصف عادات أهل دمشق في الجنائز والنعيم ، ويلومهم حيث يرى انهم مقصرون . كما يصف عرساً في صور ، وكان للنصارى ، ويذكر ان المسلمين اشتركوا فيه . ويعنى الرحالة بالمدارس والمارستانات عناية خاصة . وليس ذلك بغير ، وهو العالم المحدث الفقيه ، فيثني على أهل حلب وحماة لعنايتهم بالمدارس والمارستانات ويطلب في وصف مدارس دمشق وأخصها النورية . ثم يعنف أهل حمص لأنه ليس عندهم إلا مدرسة واحدة وليس في بلدهم مارستان قط . وقال عن دمشق بهذه المناسبة « وهذه البلدة نحو عشرين مدرسة وبها مارستانان قديم وحديث . والحديث أحفظهما وأكبرهما . وجرايته في اليوم نحو الخمسة عشر دينار (نحو تسعة جنيهات) وله قومة بأيديهم اللازمة المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون اليها في الادوية والاعذية حسبما يليق بكل انسان منهم والمجانين المعتقلين أيضاً ضرب من العلاج ، وهم في سلاسل موثقون »

وابن جبير سني ويظهر هذا عند ذكره الشيعة والاسماعيلية . وهو عند ما يشير الى

الصليبيين يحدّث الرحالين من دخول ديارهم إلاّ اذا اضطروا الى ذلك . لكن ذلك لا يمنعه من ملاحظة العلاقات التجارية الودية بين الفريقين فيشير الى تبادل القوافل التجارية بين الجماعتين في الوقت الذي يكون فيه القتال دائراً بينهما . ويحدثنا حديثاً طريفاً عن اقتسام المحصول في الأرض المشتركة بين أهل بانياس المسلمين ومن يقابلهم في قلعة هونين ، وعن غير ذلك

ولابن جبير ملاحظتان تدلان على ادراكه لمختلف الشؤون العامة . أما الواحدة فعنايته بالخانات الواقعة في مفارق الطرق وذكرها . وأما الثانية فجاءت اذ يتحدث عن قلعة حلب فقال «ومن كمال خلاها المشتركة في حصانة القلاع ان الماء بها نابع ... فلا تخاف الظأ أبداً الدهر ، والطعام يصير فيها الدهر كله ، وليس في شروط الحصانة أهم ولا آكد من هاتين الخليتين »

كانت حلب أول مدينة كبيرة نزلها ابن جبير في سوريا ، فأعجب بها وقال عنها الشيء الكثير فالبلد موضوعه ضخم جداً حقل التركيب بديع الحسن واسع الأمواق كبيرها ، وهذه متصلة الانظام مستطيلة تخرج من سمط صناعية الى سمط صناعية أخرى الى ان تفرغ من جميع الصناعات المدنية ... وأكثر حوائثها خزائن من الخشب البديع الصنعة وكل سمط منها يتصل بباب من أبواب الجامع المكرم . وكانت عكا وصور آخر ما وصف ابن جبير في رحلته فقال عن عكا «هي قاعدة مدن الافرنج بالشام ومحط الجواري للنشأت في البحر كالأعلام مجتمع السفن والزقاق ، وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق . وسككها وشوارعها تغص بالزحام وتضيق فيها مواطىء الاقدام » . وأما صور فهي «أنظف من عكا سككاً وشوارع وأهلها أليّن في الكفر طبائع وأجرب الى بر غرباء المسلمين . . . وشأن مينائها عجيب في حسن الوضع ولعمركه مثلها في الوضع والصفة لكنها لا تحمل السفن الكبار حمل تلك » . ويختتم ابن جبير حديثه عن سوريا بخبر اقلعه من عكا « لكنه ينتظر استقامة الريح اثني عشر يوماً » لان الريح الشرقية لا تهب إلاّ في فصلي الربيع والخريف والسفر لا يكون إلاّ فيهما والتجار لا ينزلون عكا بالبضائع إلاّ في هذين الفصلين . ويختلف الهروي عن غيره بأنه انما يعنى بالزيارات . ولذلك قلما تجد عنده وصفاً للحياة الاجتماعية أو الزراعية أو التجارية . فهو يحدثنا انه بلغه ان أحداً زار الخليل ، ورأى أجسام ابراهيم واسحق ويعقوب . وقد نقلنا قبلاً ان الهروي نفسه اعترف بأنه ينقل ما يسمع ، لا يشك ولا يحاسب

أما ابن بطوطة ، وهو رحالة القرن الثامن الهجري ، والرابع عشر الميلادي ، فقد دخل سوريا من الجنوب ، عكس بقية رحالينا الذين ذكرناهم ، وكان أول ما لقيه التفتيش الحمركي الدقيق الذي مرّ به بقطيا ، حيث يدفع التجار المكوس « وفيها (أي قطيا) الدواوين والعمال والكتاب والشهود ومجباها في كل يوم ألف دينار من الذهب ... وطريقها في ضمان

العرب قد وكلوا بحفظه . فاذا كان الليل مسحوا على الرمل لا يبقى به أثر ، ثم يأتي الأمير صباحاً فينظر الى الرمل فان وجد به أثراً طالب العرب باحضار مؤثره . ويتابع ابن بطوطة سيره الى غزة فالقدس فالرملة فنبلس فعكة فصور ثم يجوز مدن الساحل الى طرابلس ثم ينتقل في شمال سوريا وبلاد الروم ويعود الى دمشق ومنها الى الحجاز بطريق الكرك ومعان ويعنى الرحالة بذكر الفضلاء والعلماء والمدرسين الذين يلقاهم والاشخاص الذين أجازوه بدمشق ويروي حكايات يسمعها من السكان ويزين أخباره بأشعار قيلت في المدن . وابن بطوطة ينقل عن ابن جبير وصف حلب ودمشق . ومن طرائف ابن بطوطة وصفه حلواء الخروب بنابلس ودبس بعلمبك . فنبلس « مدينة عظيمة كثيرة الاشجار مطردة الانهار من أكثر بلاد الشام زيتوناً . ومنها يحمل الزيت الى مصر ودمشق ، وبها تصنع حلواء الخروب . وكيفية عملها ان يطبخ الخروب ثم يعصر ويؤخذ ما يخرج منه من الرُب » . أما بعلمبك فهي « حسنة قديمة من أطيب مدن الشام ... وبها يصنع الدبس المنسوب اليها وهو نوع من الرب يصنعونه من العنب وطعم تربة يضعونه فيها فيجمد وتكسر القلعة ويبقى قطعة واحدة ، وتصنع منه الحلواء ، ويجعل فيها الفستق واللوز ويسمونها اللبن » ، ويحدثنا انه من عادة أهل دمشق أن يجهز الرجل ابنته بالآواني النحاسية عند زفافها ، لانهم يتفاخرون بذلك وقد كان ابن بطوطة في دمشق أيام الطاعون الأعظم في أواخر ربيع الثاني سنة تسع وأربعين وسبعمائة . وروى « ان ملك الامراء نائب السلطان أرغون شاه أمر منادياً ينادي بدمشق أن يصوم الناس ثلاثة ايام . ولا يطبخ احد بالسوق ما يؤكل نهاراً ... فصام الناس .. ثم اجتمع الامراء والشرفاء والقضاة والفقهاء وسائر الطبقات وخرجوا جميعاً وبايديهم المصاحف وخرج النصارى بالنجيلهم واليهود بتوراتهم ... وجميعهم باكون متضرعون ليخفف الله عنهم الطاعون ... وقد انتهى عدد الموتى الى الفين في اليوم الواحد »

ولعل خير ما اختتم به حديثي هو هذه القصة التي رواها ابن بطوطة عن اوقاف الاواني بدمشق قال « مررت يوماً ببعض أزقة دمشق فرأيت به مملوكاً صغيراً قد سقطت من يده صحيفة من الفخار الصيني ، وهم يسمونها الصحن ، فتكسرت واجتمع عليه الناس فقال له بعضهم اجمع شققها واحملها معك لصاحب اوقاف الاواني ، فجمعها وذهب الرجل معه اليه فأراه اياها فدفع له ما اشترى به مثل ذلك الصحن ... فكان هذا الوقف جبراً للقلوب .

جزى الله خيراً من تسامت همته في الخير الى مثل هذا »

البنيسيلين

مادة تستخرج من العفن
وتقاوم البكتيريا مقاومة عجيبة

البنيسيلين مادة تستحضر من نوع خاص من العفن وتفتك بطائفة من الجراثيم . وقصة كشفها من القصص التي يحفل بها تاريخ العلم ، إذ يجتمع فيها عنصر المصادفة والذهن العلمي الهيا لتبيين الجديد غير المؤلف . وقد بدأت هذه القصة في معمل بحث في لندن ، حيث نحى الباحث فلمنج مزدعراً للجراثيم ، لكي يفحصه عند ما تواتيه الفرصة . ومزدرع الجراثيم طبق تنمو الجراثيم فيه في مادة تصلح غذاء لها . وهذه الأطباق عند ما تفحص في الحين بعد الحين ، تتعرض طبعا للتلوث بما في هواء العمل من جراثيم . فلما أخذ الباحث هذا الطبق الخاص لفحصه ، وجد فيه بقعة من العفن ، تشبه شها كبراً العفن الذي يظهر كثيراً في الجبن أو غيره من ألوان الطعام ولكن العفن الذي ظهر في هذا المزدرع لم يكن من العفن المؤلف ، بل بدا ان له قوة عجيبة لم تكن معروفة ، لأن الجراثيم القريبة من البقعة — وكانت جراثيم ستافيلوكوك — كانت قد أخذت تشف وتنفخ وتنحل . أي انها كانت في سبيل الزوال أو الموت فلما فحص هذا العفن ثبت أنه العفن المعروف باسم بنيسيليوم نوتاتوم (*Penicillium notatum*) ومنه حضرت المادة المقاومة لفعل البكتيريا التي اتخذناها عنواناً لهذا المقال — أي مادة « البنيسيلين » *Penicillin* وهي لا تستخرج من نوع آخر من العفن . فالبنيسيليوم نوتاتوم له قريب يدعى بنيسيليوم روبرم *Penicillium rubrum* ولكنه لا يصلح لاستخراج مادة البنيسيلين منه

وقد عني كاشف هذه المادة — الأستاذ الكسندر فلمنج *Fleming* — ببحثها من جميع الوجوه لتبين تأثيرها في قتل الجراثيم . ولعل وصف إحدى تجاربه كاف لتبيان ما فعل . فقد أخذ طبقاً ووضع فيه المادة التي تصلح غذاء للجراثيم . وفي منتصف الطبق شق ثلماً وملاء بمادة البنيسيلين المستخرج من العفن الخاص . ثم وضع على جانبي الثلم لطحاً من اصناف شتى من البكتيريا . وهي باشاس القولون ^(١) (*B. Coli*) والباشلس

(١) كروي صغير قطر أصغره ربع جزء من مليون جزء من البوصة . فاذا انقسم انقساماً منتظماً ألف سلسلة من الستربتوكوكس واذا انقسم انقساماً غير منتظم ألف عنقوداً من الستافيلوكوكس

الستوفيلوكوكي^(٢) ثم الباشلس الستربتوكوكي^(٣) فالغونوكوكي^(٤) فالدفيري^(٥) فالانفلوزي. ثم لاحظ فلانمخ ان معظم هذه الجراثيم توقف عن النمو في اتجاه الثلم حيث البنيسيلين ، وان مستعمراتها أخذت تتقلص ، ماعدا باشلس القولون والباشلس الانفلوزي (باشلس فيفر)

ثم ان علماء البكتيريا يقسمون طوائف البكتيريا تقسيماً آخر ، وفقاً لتأثيرها بالأصباغ التي تصبغ بها لظواهرها على شرائح المجهر. فمنها ما ينصبغ ومنها ما لا ينصبغ. فالطائفة الاولى تعرف بوصف طائفة « غرام الايجابية » والثانية بوصف طائفة « غرام السلبية ». وفي هذه المباحث التي أدارها فلانمخ والتجارب التي جربها ، ظهر ان الجراثيم التي تنصبغ (أي غرام الايجابية) تعنو لفعل البنيسيلين ، وأما الأخرى فلا . ومن الطائفة الاولى في الحاليين الباشلس الستربتوكوكي ، ومن الثانية في الحاليين باشلس القولون وباشلس فيفر الانفلوزي

بعد ذلك جربت تجارب أخرى متعددة ، غرضها ، الكشف عن خواص البنيسيلين وفعله في احوال معينة فظهر ان احماءه الى درجة الغليان مدى ساعة يضعف قوته الى ربعها. وإحماءه الى درجة اعلى من الحرارة يقضي عليه . ولكن الترشيح لا يؤثر في قدرته على الفتك بالجراثيم. اما مادته الفعالة فتحلل بسهولة في الماء . وخير درجة حرارة لتحضيره هي درجة حرارة الحجرة العادية وفعله اي فتكه بالجراثيم ، يستمر واضحا ثمانية أيام الى عشرة ، ويزول بعد انقضاء اسبوعين على تحضيره . وفعله المطهر بطيء فهو يستغرق اربع ساعات ونصف ساعة للفتك بالجراثيم الستربتوكوكية

ولعل أظهر خواصه انه لا يفتك إلا بالجراثيم ، ولا يسمُ جمعاً حياً آخر كجسم فأر أو أرنب او جسم انسان ، او انساجها. ولا هو يهيج هذه الانساج . وقد وضع على جرح فلم يهيجه ، واذا حل ٨٠٠ ضعف المطهرات الاخرى ظل افعلمنها. وكان مدار التجارب الأخرى ، معرفة تأثيره في البشر ، ولم تنح الفرصة لتجريبه في حوادث كثيرة ، وقت كشفه . لأن المتاح من البنيسيلين كان قليلاً . ولكنه جرب — على قدر المستطاع — في حوادث كان خمس منها حوادث خطيرة . فشفي حالة حادة في العين بالاستعمال الخارجي ، وأزال حالات التهاب داخلي . وسجلت هذه الحالات وطرق معالجتها حينئذ . فأحدث ذكرها هزة في الدوائر الطبية والعلمية. ولكن الاهتمام العام به ضعف بعد ذلك ، بغير ان يضعف الاهتمام الخاص بدراسته ، وعلى وجه خاص في لندن واكسفورد وغيرها

(٢) يحدث الالتهاب ويوجد في حالات الزكام والالتهاب المعوي في الاطفال (٣) يوجد في المعال وحالات تسمم الدم وغيرها (٤) مكروب النزلة الصدرية (٥) مكروب أحد الامراض التنفسية (السيلان)

ومما ثبت خلال هذه الفترة ، أنه يصلح لفصل البكتيريا بعضها عن بعض . فمن الجرائم المؤذية ما يصعب استفراده ، لأنه ينمو وتنمو حوله جرائم أخرى . ولكن إذا كانت الجرائم المؤذية مما لا يتأثر بالبنيسيلين ، والجرائم الأخرى مما يتأثر به ، استطاع الباحث أن يقضي على هذه الجرائم وأن يكشف الجرائم الأولى أي يعزلها . فباشلس فيفر الانفلووزي يقصر على كشف نفسه بهذه الطريقة ، لأن البنيسيلين يفتك بجاعة باشلس الستربتوكوكس والسنافيلوكوكس وغيرها وهي التي تحيط به ، ولأن الباشلس الانفلووزي لا يتأثر به .

إن النتائج الباهرة التي أسفر عنها هذا البحث العلمي الدقيق ، حجتها في السنوات الأخيرة ، الاهتمام بالعقاقير السلفوناميدية وعجائب فعلها ، ولا سيما لأن السلفوناميدات مواد كيميائية وتحضير مقادير كبيرة منها ، لا يعوقه عائق ما . أما البنيسيلين فمادة طبيعية ولا يستخرج إلا من مادة واحدة هي بنيسيلوم نوتاتوم . والمقادير المتاحة منه يسيرة الآن . والسعي العلمي متجه إلى توفيرها . وهو يحضر كما يلي : إن مستعمرة العفن (بنيسيلوم نوتاتوم) كتلة هشة بيضاء وتتكاثر وتكبر في سرعة ، وبعد أيام تتولد بزيرات خضراء قائمة ثم تتحول سوداء . وبعد فترة يتحول العفن ، وفقاً للوسط الذي ينمو فيه ، فيغدو لونه أصفر أو محمراً . فإذا وضع في طبق من مرق اللحم ، طفت هذه المجموعات الهشة على سطحه فتغطيه بطبقة خضراء قائمة ، لا يختلف مظهرها عن مظهر سطح الماء الراكد في بركة . والرق تحت هذا السطح يتحول أصفر إلى برتقالي . ومن هذا السائل يستفطر البنيسيلين . ومن الواضح أن المقادير التي تحضر منه على هذا المنوال لا يمكن أن تكون كبيرة . والبحث في أكسفورد خاصة متجه الآن إلى تنقيته . والحصول عليه مبلوراً . ولم يتمكن الباحثون حتى أواخر السنة الماضية من الحصول عليه نقياً تام النقاء . وفعله يزداد وفقاً لنقاؤه . وإذا كان نقاؤه نصف تام ، كفي محلول منه يبلغ جزءاً في مليون جزء من الماء للقضاء على الجرائم التي ثبت أنها تتأثر به (غرام الإيجابية) وإذا كان نقياً قريباً من التمام كفي ، محلول يبلغ جزءاً في ٢٥ مليون جزء من الماء ، لاحتداث الفعل نفسه .

ومما يستوقف النظر بوجه خاص ، أنه كلما كان البنيسيلين قريباً من درجة النقاء التامة ، كان فعله السمي أقل سواً في ذلك أجسام البشر أو أجسام القُرآن . ولكن فعله السمي يسير جداً كما تقدم . فقار يستطيع أن يتحمله إذا حقن بجرعة ، يبلغ وزنها . . . من وزن جسم القار . يقابل هذا أن فعل السلفوناميدات شديدة الفعل السمي ويجب تناولها بعناية وحرص . فالبنيسيلين أفعال كثيرأ من السلفوناميدات وزناً وبوزن وأقل فعلاً سميّاً منها

المستشرق متفوخ

Eugen Mittwoch

حياته وآثاره

للكاتب دكتور

نشرت في مقتطف فبراير سنة ١٩٣٩ كلمة عن استاذي المستشرق نلينو مبيتا خصائصه ومناحي مباحثه وألوان تأثيره . وكان الاستاذ نلينو معروفاً في مصر لتعدد زيارته لها وتدريسه في جامعتها وعضويته في مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، فكان كثير الأصدقاء والتلاميذ في مصر . أما اليوم فقد نعى الينا البرق علماً آخر من أعلام الاستشراق لم يعرف في مصر كما عرف نلينو ، وربما يرجع هذا الى قلة إتصاله المباشر بها سمعت على الاستاذ متفوخ في برلين فأصبحت عنده عالماً فياضاً وعرفت ذكاءً وقادراً وقلباً كبيراً وخلفاً دمثاً وروحاً مرحة وبديهة حاضرة ، وكان يحب تلاميذه ولا يقعد عن إسداء النصيح لهم وبذل الإمداد إليهم . وكان يعينهم بماله الخاص كلما أحس بأن أحدهم يشكو ضعفاً بل كان يتعهد جميع نفقاتهم اذا عجز أحدهم عن متابعة التحصيل . وقد كان رحمه الله يحب المصريين ويخلص لهم ، فلم يقبل أجراً على أي عمل نمض به للمصريين ولم يحزن من وراء ذلك غير إرضاء حبه لهم وهمته في تعليمهم . وكان يتوق قبل هذه الحرب أن يزور مصر والشرق العربي . واتفق ان عرض عليه التدريس في جامعة فؤاد الاول فاعتذر مكرهاً عن الحضور لوفرة مهامه في ذلك الحين

— ١ —

ولد أوتو جين متفوخ في الرابع من شهر ديسمبر عام ١٨٧٦ في ألمانيا الشرقية من أبوين يهوديين ، وأتم دراسته في ألمانيا على طائفة من علمائها المستشرقين نخص منهم العلامة ساخاو Edward Sachau . وقد كان الاستاذ متفوخ يجلسه فظلاً مرتبطاً به حتى موته . وحصل على الدكتوراه من برلين سنة ١٨٩٩ وكان هذا فاتحة حياته العلمية . فعين استاذاً للغات السامية في جامعة برلين وتولى منذ سنة ١٩٢٠ أعمال مدير معهد اللغات الشرقية

بجامعتها الى ان عين مديراً لهذا المعهد من سنة ١٩٢٧ إلى سنة ١٩٣٣ . ويعد هذا المعهد من أكبر معاهد اللغات الشرقية في العالم

كان — رحمه الله — يخدم وطنه ألمانيا وقد أسدى إليه أيادي جلييلة في اثناء الحرب الكبرى حين كان ملحقاً بهيئة أركان الحرب

ولم يمنعه ذلك المجهود الذي بذله خلال الحرب الكبرى من متابعة عمله العلمي والإشراف على نشر أبحاثه . وقد عرفت الحكومة الألمانية قدره فاستعانت به بعد الحرب الكبرى على اجتذاب الرأي العام في بولنده فنصح في مهمته بفضل خبرته وحسن تدبيره . وقد استلزمت منه هذه المهمة مجهوداً كبيراً على ما يظهر ، فقد أهمل أبحاثه العلمية إذ لم ينشر في سنتي ١٩١٨ و ١٩١٩ رسالة واحدة

وفي سنة ١٩٣٥ أوقفته الحكومة الألمانية عن عمله . فلما تعذر الاستغناء عنه أعيد الى الجامعة حتى ظهر قانون سبتمبر ١٩٣٦ وهو القانون الذي فصل بمقتضاه جميع الموظفين اليهود من الحكومة ، فاضطر بذلك الى ترك الجامعة ولكن هذا لم يحد من نشاطه بل استمر في أعماله العلمية وتولى الى جانب هذا العناية بشؤون اليهود الألمان وتنظيم ترحيلهم الى الخارج . ثم لم تمكنه الأحوال المحيطة به من المعيشة في المانيا فرحل الى انكلترا عام ١٩٣٨ حيث هيئت له بعض الجهات العلمية الانكليزية الفرصة لمتابعة أبحاثه العلمية

— ٢ —

بدأ الأستاذ متفوخ حياته العلمية بنشر الرسالة التي نال بها الدكتوراه من جامعة برلين سنة ١٨٩٩ عن « أيام العرب » . وقد وجه اهتمامه الى الدراسات العربية من نواح مختلفة ، فنشر سنة ١٩١٠ في مجلة الابحاث التي يصدرها معهد اللغات الشرقية ببرلين بحثاً في « الناحية الأدبية عند حمزة الاصفهاني »

أما تاريخ الطب عند العرب فقد وجه اليه عناية خاصة فشرع سنة ١٩٠٤ في نشر مؤلف عن أطباء العيون عند العرب مع العالمين هرشبرج J. Hirschberg وليبرت J. Lippert عن علي بن عيسى مع ترجمة النص الى الألمانية وشرحه ، وسنة ١٩٠٥ عن عمار بن علي الوصلي وخليفة الحلبي وصلاح الدين . ومن جهة أخرى نشر عام ١٩٠٥ — ضمن أبحاث الجمع العلمي الملكي البروسي — فصلاً عن الكتب العربية التعليمية في طب العيون . وفي سنة ١٩١٣ نشر بحثاً في أقدم وباء للانفلونزا في فارس والعراق سنة ٨٥٥ ميلادية . وقد اهتم بجمع مؤلفات الاطباء العرب في سفر يشملها جميعاً وقدم عن ذلك سنة ١٩٣٢ تقريراً منهلاً

الى مؤتمر المستشرقين المنعقد في اكسفورد والمجمع الدولي لتاريخ العلوم في باريس
أما في السيرة النبوية فمن آثار اهتمامه بها انه شارك بعض المستشرقين في نشر «طبقات
ابن سعد» ، وفي سنة ١٩٠٥ اختصّ بنشر الجزء الخاص من بدء السيرة النبوية الى الهجرة ،
وكذلك الجزء الخاص بالسيرة النبوية في المدينة وقد نشر سنة ١٩١٧ . وفي سنة ١٩٢٦ نشر
مقالاً في تحقيق تاريخ مولد النبي وتاريخ وفاته

أما في الفقه فقد نشر سنة ١٩١٣ بحثاً عن تاريخ نشأة الصلاة والشعائر الدينية في
الاسلام وعلاقتها بما يناظرها في اليهودية وذلك في مجلة المجمع العلمي الملكي البروسي . ونشر
سنة ١٩٢٢ بحثاً عن رسالة منسوبة الى ابن عباس ضمن الكتاب المقدم الى المستشرق
الانكليزي Edward E. Browne بمناسبة بلوغه الستين . ونشر في سنة ١٩٢٦ بحثاً عن
الفتاوى الاسلامية في أهل السامرة

أما السحر فقد كان اهتمامه به من ناحية الفائدة التاريخية . فنشر سنة ١٩١٢ تجميعاً
وردت في نص لحزرة الاصفهاني وكذلك نشر سنة ١٩١٣ رسالة في خرافات وعادات عند
عرب الجاهلية عن حمزة الاصفهاني

ثم أنشأ مقالات مختلفة في دائرة المعارف الاسلامية منها :

أيام العرب ، علي بن عيسى ، عمّار ، دواء ، ذو الفقار ، ذوقار ، ذو القرنين ، جبرت ،
حكيم ، حليلة ، حمزة الاصفهاني ، ابن القفطي ، ابن ميمون ، ابن سعد ، عيد ، عيد الأضحى ،
عيد الفطر

ووجه الاستاذ عنايته شطر دراسة الآثار الاسلامية ، فنشر مع الاستاذ سره F. Sarre
سنة ١٩٠٣ عن الخزف ذي البريق المعدني الاسباني المغربي في القرون الوسطى وصناعته في
ملحقاً . وقد اختصّ الاستاذ متفوخ في هذا بالمصادر العربية . وكذلك كتب ملحقاً لمقال
نشره (سره) سنة ١٩٠٤ عن حوض معدني شرقي يرجع الى القرن الثالث عشر الميلادي محفوظ
في متحف الأجناس ببرلين ، وآخر عن أوان خزفية اسلامية من العراق نشره سنة ١٩٠٥
وفي سنة ١٩٠٦ أخرج (سره) كتاباً عن مجموعة تحفه تحت عنوان «منتجات الفن الاسلامي» :
الجزء الاول منه عن المنتجات المعدنية والجزء الثاني نشره سنة ١٩٠٩ وعنوانه
الطرائف السلجوقية . وفي كل من الجزئين لحق الاستاذ متفوخ فيه دراسة للكتابات المدونة
على التحف المختلفة . وقد اشترك مع (سره) في نشر كتاب « رسومات من رضا عباسي » سنة
١٩١٤ وظهر له سنة ١٩٣٥ في مجلة الدراسات الشرقية Orientalia بحث عن نقش عربي
يرجع الى سنة ١٣٦ هجرية

— ٣ —

اشتهر الأستاذ متفوخ بدراساته في النقوش العربية الجنوبية وله في هذا الفرع تلاميذ كانوا يرتحلون اليه من بلاد مختلفة ، فاستقامت بهم مدرسة لها طريقتها وخصائصها وهي تقابل مدرسة المستشرق رودوكاناكيس Rhodokanakis في النمسا. فعرفت المدرسته بالاعتدال والحيلة في حل النقوش العربية الجنوبية وتفهم معانيها على حين عرفت مدرسة النمسا بتطرفها . وكان الأستاذ متفوخ مهتماً بشؤون اليمن وقد زاد اهتمامه بها منذ سنة ١٩٢٦ لما نشر مقالاً عن اليمن هو دراسة ما أحضره بورخرت H. Burchardt من صور ضوئية لنقوش جمعها في أثناء إقامته الطويلة بتلك البلاد . وفي سنة ١٩٢٨ ظهر له مقال في مجلة الجمعية الشرقية الألمانية عن نقوش من بلاد العرب الجنوبية عثر عليها راتينس C. Rathiens وفيسمن H. V. Wissmann خلال رحلتهما في بلاد اليمن في شتاء عام ١٩٢٧

وقد شرع الأستاذ متفوخ في العمل مع الأستاذ مورتمن J. H. Mordtmann في دراسة تلك النقوش فنشرا عام ١٩٣١ كتاباً عن النقوش السبئية وآخر سنة ١٩٣٢ عن النقوش الحميرية المحفوظة بمتحف الدولة في برلين . وأيضاً نشرنا سنة ١٩٣٢ في مجلة الدراسات الشرقية مقالاً عن النقوش العربية الجنوبية في عدن وآخر سنة ١٩٣٣ عن النقوش العربية الجنوبية من حضرموت ، كما نشرنا في المجلة المذكورة سنة ١٩٣٤ ملاحظات عن النقوش العربية الجنوبية . وفي عام ١٩٣٥ نشر الأستاذ متفوخ في مجلة الدراسات الشرقية مقالاً عن العصور السبئية المتقدمة . ومنذ عام ١٩٣٦ بدأ ينشر مع تلميذه الدكتور شلوبيس H. Schlobies سلسلة أبحاث في مجلة الدراسات الشرقية عن النقوش العربية الجنوبية المحفوظة في متحف الأجناس بمدينة هامبورج

— ٤ —

كان الأستاذ متفوخ حجة في لغات الحبشة يعرف معظمها ويلم بدقائقها ولكنه صرف جلّ عنايته الى دراسة اللغة الأمهرية فنشر سنة ١٩٠٦ مقتطفات من القرآن مترجمة الى اللغة الأمهرية ضمن أبحاث معهد اللغات الشرقية في برلين . وفي سنة ١٩٠٧ نشر ضمن هذه الأبحاث نبذاً من اللغة الأمهرية العامة ، وفي السنة ذاتها كتب في مجلة الأدب الشرقي ملاحظات على تاريخ الملك تيودور المكتوب باللغة الأمهرية . ونشر سنة ١٩١٠ ضمن أبحاث معهد اللغات الشرقية في برلين نصّاً بالأمهرية عن ألعاب الصبيان مع ترجمته وشرحه . ونشر ضمن هذه الأبحاث سنة ١٩١١ نصّاً بالأمهرية عن الحكايات والقصص مع الترجمة والشرح . وفي السنة ذاتها نشر في مجلة الاشوريات بحثاً عن كلمة « دشنهوى » الأمهرية وهي

أمين باشا المعلوف

تقدير

نقيب شافين

هذا تقدير لمقام الفقيه من ناحيته العلمية والأدبية اقتصر عليهما تاركاً لغيري ترجمة حياته ترجمة تبين نواحيها الآخر :

عاصرت الدكتور أمين باشا المعلوف في مرحلته الجامعية الأخيرة ولا أحسب ما تقدمها معاصرة إذ لم يدر كلانا بوجود صاحبه . فقد دخلت كلية العلوم والآداب في جامعة بيروت الأميركية سنة دخوله كلية الطب بعدما حاز شهادة القسم الاستعدادي وبكوريا كلية الآداب . فانتهينا معاً هو من كلية الطب وأنا من كلية الآداب

وكان على جانب كبير من الذكاء ولا أزال أذكر احتكاره لجوائز القسم الطبي فكان المذيع في الاحتفال الأخير يذكر نيله لجائزة التشريح ويطلب تقدمه لتسلمها فينهض ويتسلمها ويعود الى مقعده فلا يكاد يجلس حتى يدعى ثانية وحتى تعبنا عنه — جائزة في التشريح وثانية في المواد الطبية وثالثة في تشخيص الأمراض ورابعة في الجراحة — وحتى وددنا لو دعينا مكانه بالنيابة عنه لا بالاصالة عن أنفسنا لأن أصحاب الذكاء النادر يكونون في الغالب مغبوطين لا محسودين — يتمنى المرء دوام النعمة لهم لا زوالها عنهم بخلاف الاغنياء البخلاء فانه يطلب زوالها عنهم الى أناس يكونون أصلح لها وتكون أصلح لهم

وكان جزاء هذا الاحتكار اختياره خطيب الجامعة من كلية الطب باللغة العربية وخطبت أنا بالانجليزية وقد نسيت موضوعه وأما موضوعي فكان « الجمال في الطبيعة » وبعد الحياة المدرسية في الجامعة تفرقنا وقدم كلانا هذا القطر وأنا أنشد قول متمم بن نويرة يذكر أخاه مالكاً :

ولما تفرقنا كاني ومالكاً اطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ودخل القسم الطبي في الجيش المصري ، وطلبت أنا الأدب فأدركته ، ولكن أدركتني خلته معه

كان المرحوم أبرز شاهد على تعدد المواهب في انسان مع كـون الموهبة العليا في بعض زوايا نفسه فإذا أنست فرصة تجلت أعظم تجلٍّ وكسفت المواهب الأخرى . فقد احترف الطب وكان ذا حذق نادر في تشخيص العلة ولكن ظهرت فيه في الوقت نفسه موهبته المدفونة في دفتي صدره وقرارة نفسه وهي موهبة البحث العلمي وانبثقت فيه انبثاق الالهام والوحي وظهرت طوالها في كثرة التقصي والسؤال والمطالعة فكنا نراه يطالع كتباً لا علاقة لها بـجـرفته إلا من بعيد ثم كنا نسمع منه أسئلة واستفهامات في اللغة العربية لا تمت الى الطب العملي بصلة — شأن الاطباء الذين يعدون العدة لوضع مؤلفات في غير الطب وينسجون لها أحسن الحلل لالباسها ايها أو يصنعون أحسن القوالب لافراغها فيها

وكان أول مؤلف وضعه معجم الحيوان وبحثه فيه موسوم بالدقة العلمية التي قلما ترى إلا في مؤلفات الغربيين العلمية الدقيقة تذكر قارئه مؤلف دارون المعلنون «تسلسل الانسان» وكلا الكتابين متشابهان في صغر حجمهما وكونهما مع صغرهما جامعين مانعين . أو تذكره «الكتاب» لسببويه امام النجاة فهو قوام النحو وبلغ من عناية الذين وقفوا على طبعه من الغربيين ان لم يتركوا فيه هفوة مطبعية فلم يحتاج لذلك الى جدول لتصحيح اخطاء لا وجود لها

وقد بدأ المقتطف في نشر مباحث هذا المعجم متسلسلة في اكتوبر ١٩٠٨ وقدم له الدكتور صروف بما يلي

« لا يخفى على من اشتغل بالترجمة من اللغات الاوربية او بالتأليف على منهاج الاوربيين ان من أنواع الحيوان والنبات ما اسماءه معروفة مشهورة كالغراب والفرس والتين والزيتون فلا تخفى على احد ولا تخفى دلالة الاسم على المسمى . ومنها ما اسماءه غير معروفة أو غير مشهورة أو خطأ المترجمون في ترجمتها وشاع الخطأ دون الصواب وهذه كلها يستصعب المترجم تحقيقها من مظانها كلها وصل اليها . وليس في العربية حتى الآن قاموس عربي افرنجي عني مؤلفه بترجمة كل أسماء الحيوانات والنباتات التي لها أسماء في العربية أو بين الناطقين بها ناهيك عن ان تعريب أسماء الحيوانات والنباتات في كتب اللغة العربية قلما يدل عليها

» وقد عني صديقنا الدكتور امين معلوف منذ مدة بالبحث عن أسماء الحيوانات ووضع لها معجماً ذكر فيه الاسم العربي والاسم الفرنسي والاسم الانكليزي والاسم العلمي ووصف كل حيوان وصفاً أوجز فيه أو أسهب حسب مقتضى الحال فرأينا ان ننشر هذا المعجم تبعاً

في المقتطف لعرضه على الباحثين في هذا الموضوع وعسى ان يتحفنا المؤلف بمعجم آخر للنبات
لانه بحث في هذين الموضوعين بحثاً دقيقاً يعود عليه بالشكر »
ثم جمع المقتطف المعجم بإشراف أمين باشا في كتاب على حدة وأصدره سنة ١٩٣٢
وأهداه مؤلفه الى « روح أستاذي العلامة الدكتور يعقوب صروف ، أثارة من فضل
ما علمني »

واخرج سنة ١٩٣٥ المعجم الفلكي بعد معجم الحيوان وهو يشمل الثوابت والكواكب
السيارة وصور النجوم وبعض الاصطلاحات الفلكية وطبع في مطبعة دار الكتب المصرية
واعتمد فيما نشر على كتب الفلك المنشورة بالعربية من تأليف المرحومين الدكتور فانديك
والدكتور صروف وكتاب الفلك عند العرب وزيج الصابي للدكتور كولو نلينو العضوي في
مجمع اللغة المملوكي وغيرها من الكتب العربية القديمة . وفيه خارطات فلكية واسماء الصور
كلها بالعربية وتحريفها اللاتيني واسماء الاصطلاحات بالعربية والانجليزية
وعني الفقيد من عهد بعيد بوضع معجم للانجليزية والعربية على مثال المعجمات التي بين
أيدينا وقيل لي انه تقدم فيه حتى أكمل ثلثه ولا أعلم ما جرى له

وليس الفقيد بأول شاهد أو بالشاهد الوحيد على التبريز في صناعتين بين رجال العلم
والادب والسياسة فقد كان غلامتون سياسياً شهيراً ونظم كثيراً من شعر فرجيل وكان
اللورد سالسبري سياسياً كبيراً وعالم كيمائياً
واشتهر عندنا الدكتور احمد عيسى بك بالطب والتأليف الذي لا علاقة له بالطب وكذلك
الدكتور شميل من انصار مذهب دارون والدكتور حافظ عفيفي باشا وهو اقتصادياً اشتهر
منه نظامياً ورجلا القانون والصحافة أحمد لطفي السيد باشا وهيك باشا
ومما يذكر في هذا الصدد ان اتصال الفقيد بالمرسلين الاميركيين في سوريا اذكي
فيه موهبة البحث العلمي فقد كان على اتم اتصال بالطبيين العالمين الدكتور فانديك المؤلف
المشهور والدكتور بوست الجراح الذي اشتهر بالجراحة اشتهاراً حليماً ولكنه اشتهر
بمؤلفاته في علم النبات اشتهاراً عالمياً بين علماء اوربا حتى سميت بعض نباتات سوريا
وفلسطين باسمه . فان قربه منهما واطلاعه على أعمالهما شحذ فيه موهبة البحث العلمي التي تجلت
في مؤلفاته القليلة . ولو فسح له في الاجل ومكنته الفرصة لرأيت له آثاراً آخر أجلاً قدراً

وقد عمل الفقيه مدة في مجلة المقتطف مساعداً لصاحبه العلامة الدكتور صروف في أواخر الحرب العالمية الماضية وظهر تدقيقه اللغوي ذلك التدقيق الذي لم ينشأ عليه في حياته العلمية الاولى وانما جلبه فيما بعد البحث والسهر وعلمه بأنه ان قدر له ان يكون مؤلفاً علمياً فلا بد ان يصحب اقدمه على التأليف اتقانه للكتابة وتدقيقه فيها . اذكر يوماً أنه زهني الى كلمين قال انهما خطأ شائع حتى على اقلام كاتبي المقطم فأصلحنا احدهما واما الاخرى فوجدنا ان فيها قولين كغالب مسائل النحو واللغة

واهتم بالتوفر على الترجمة الصحيحة فكان يكثر الاسئلة فيها لعله يكتسب ملكتها وهي لا تكتسب الا بالخبرة الطويلة او كما قال الشاعر في العلم

اخي لا تنال العلم الا بستة فأنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد ورغبة وصحبة استاذ وطول زمان

وقد اجتمعت له الخلال الاربع الاول فنال بها ما لم ينل صاحب الست واتقن الترجمة اتقانه للكتابة . وكان هو وصديقه المرحوم الدكتور شميل كثيري الاعجاب بالترجمة الصحيحة . وقال الدكتور شميل على مسمع مني « لقد اتقنت الكتابة في كل فرع فصارت عندي سهلة التناول وملكيت فيها سرعة لا تصدق ولكن اذا عمدت الى ترجمة شيء علمي عويصاً كان أم سهلاً خرجت ترجمتي « كخربشة الدجاج في الوحل » كما وصفها . وخربشة الكتاب في اللغة افساده وهي كذلك كلمة عامية كثيرة الشيوع في الشام

وكان في شبابه بهي الطلعة نحيف الجسم جسن الصحة يظهر رأسه صغيراً وهو ليس كذلك . وضع أحد أصحابه يوماً طربوش الفقيه على رأسه ليقسه منتظراً أن لا يغطي قته فكان الفقيه ينظر اليه نظرة استهزاء موقناً بخيبة أمله . فاذا الطربوش يغطي أذنيه فنظر الى ما حوله مكسوفاً والدكتور ينظر اليه نظرة المزهو المدلل بنفسه

وكان يتتبع في الحرب الماضية زحف الالمانيين على باريس في كل خطوة يخطونها حتى اذا بلغوا مسان كنتان عراه شيء من القلق لأنه كان دائماً الثقة بقدرة الفرنسيين وحلفائهم الانكليزي على ردهم ولكنه لم يفقد ثقته مع ذلك . فلما بدأ تقهرهم عن نهر المارن الى نهر الاين سمعته صائحاً « ألم أقل لكم هكذا » مفخراً بتمسكه برأيه الى الآخر

ولا ريب في ان معجمه الانكليزي العربي كان يكون بالغاً حد الاتقان لما عرف عن تدقيقه وسعة اطلاعه وقد حال دون اخراجه لنا اشتغاله بأسباب العيش وتغلب المرض عليه . فخذلوا اهتمام أسرته بهذا المعجم ورزق من يعرف أقدار الرجال ومؤلفاتهم العلمية فيخرجه لنا فينتفع به وينتفع

ضوء الشمس

والذرات ، مصدر الطاقة

في المستقبل

من المحتمل أن تكون الطاقة المستخرجة من الذرات أو من ضوء الشمس الأداة الموقوفة لقلب أساليب العيش في المستقبل رأساً على عقب . فإذا تمكن العلماء من إطلاق الطاقة الكامنة في الذرات على وجه عملي ، أو إذا استطاعوا أن ينفذوا إلى سرّ الأوراق الخضر في النقاط طاقة الشمس وخزنها ، فقد يكون العصر المقبل عصرًا تتوافر فيه الطاقة المحركة توافر الهواء الذي نتنفسه أو الماء الذي نبل ظمأنا به .

فالناس يعتمدون الآن على النفط ومشتقاته ، أو على الفحم ، أو على الطاقة المولدة من الماء المنحدر . والمصدران الأولان من مصادر الطاقة — أي النفط والفحم — مألها إلى النفاد ، وإن اختلف العلماء في تقدير أمد الاعتماد عليهما قبل نفادهما . فإذا وفق باحث علمي ، إلى كشف أسلوب عملي قليل النفقة يطلق به الطاقة المخزونة في الذرة ، أو يتناول به الطاقة من ضوء الشمس ، فالنتائج الصناعية والاقتصادية التي يسفر عنها كشف من هذا القبيل تكون في الطبقة الأولى من عظم الشأن في الاجتماع البشري .

والشمس هي في الأصل مصدر كل طاقة متاحة لنا . فالحرارة والطاقة الكهربائية مردّها جميعاً إلى الشمس ، سواء أُنمّن الماء المنحدر تولدت الطاقة ، أم من الفحم المحترق أم من النفط . وكل الطعام يصنع أصلاً في معمل الورق الأخضر ، فهو دون غيره من معامل الطبيعة والإنسان يستطيع أن يلتقط طاقة الشمس بأسلوب هين ويستعمله في بناء المواد الغذائية الأساسية ، ثم يخزنها . ثم يأخذها الإنسان والحيوان طعاماً . وما فتئت الشعوب تنزاح بالبنابك ، وتتقاتل في سبيل « مكان في الشمس » على حد قول غليوم الثاني . والمكان في الشمس قد يعني الطعام الذي تولده الأوراق الخضر بفعل طاقة الشمس . وهذه الحرب الناشئة الآن مدار ناحية منها على الأقل إلى طاقة الشمس المتجمدة في جزيئات النفط وأطباق الفحم إن موضوع طاقة الشمس موضوع واسع النطاق . ويقول الدكتور إنمن مدير معهد كترنغ الاميركي ، لدراسة اليخضور (كلوروفيل) والتركيب الضوئي إن سطح الأرض يتلقى كل سنة من طاقة الشمس ، قدرًا يعادل الطاقة التي يولدها حرق ستمائة ألف مليون مليون

وغني عن البيان ان الذرة تحتوي على طاقة كامنة فيها ، تتيح للناس اذا أطلقت بأسلوب عملي غير كبير النفقة ، مقادير من الطاقة المحركة لا حدود لها
 فقبل أربع سنوات أو خمس ، كان هذا الموضوع لا يستوقف عناية العلماء الا من ناحيته النظرية . ولكن فلق ذرة الاورانيوم في أوائل سنة ١٩٣٩ ، فتح باباً جديداً في هذا الموضوع . لأن فلق ذرة الاورانيوم صحبه اطلاق قدر عظيم من الطاقة الذرية الكامنة . فأقبل رجال علم الذرة ، في شتى أقطار الأرض على بحث هذه الناحية الجديدة في هذا الموضوع الخطير (راجع المقتطف يوليو ١٩٤٠ ص ١٢٤)

وأغلب الرأي — على ما استطعنا استخلاصه من المجلات العلمية التي وصلتنا — انه اذا اتقنت طريقة اطلاق الطاقة من الاورانيوم اتقاناً عملياً تجارياً ، فانها لا تبيح لنا الا الطاقة المخزونة في قدر يسير جداً من ذرات الأرض ، وهي ذرات عنصر الاورانيوم . واذن فالرجاء الأكبر معلق بكشف طريقة أخرى ، تمكن العلماء ورجال الصناعة بعدهم ، من اعادة الذرات أيّاً كانت او إفنائها . وهذا هو رأي الدكتور توفث احد علماء قسم المغنطيسية الأرضية بمعهد كرنيجي في واشنطن العاصمة . وهو في طليعة الباحثين في هذا الموضوع

أما الدكتور كولدج مدير معامل البحث العلمي في الشركة الكهربائية العامة فيرى أن البحث أفضى الى طريقة تطلق من عنصر الاورانيوم قدراً عظيماً من الطاقة الذرية ، وأنه اذا أفضى البحث في المستقبل الى فهم سر هذا الاطلاق فهماً دقيقاً فقد نستطيع ان نطلق من رطل واحد من الاورانيوم ، قدراً من الطاقة يفوق الطاقة المستخرجة من ملايين من ارباط الفحم . حتى اذا كانت نفقة اطلاق الطاقة من الاورانيوم اكبر من نفقة اطلاقها من الفحم ، كان ذلك خيراً لأنه يتيح مصدراً للطاقة حيث اعتبار الوزن له شأن عظيم . ومن المحتمل ان يفضي البحث الذري الى وسيلة تطلق بها الطاقة الذرية من ذرات بعض العناصر المألوفة

وسئل الدكتور لي ده فرست وهو من أعلام المخترعات اللاسلكية في ذلك قال : ان كشف الجهاز الرحوي والتوسع في بنائه واستعماله ، يسوّغ الرجاء المعقود باحتمال اعتمادنا في المستقبل على الطاقة المنطلقة من الذرة عن طريق تهشيمها فتتاح مقادير من الطاقة لا تحصى ومهما يبعد الزمن الذي تنفذ فيه موارد النفط فالفهم فانها ماضية الى النفاد لا ريب في ذلك . والبحث في هذا الموضوع ، كالببحث في موضوع طاقة الشمس وخزنها ، قليل قليل الآن ، بالقياس الى الفائدة العامة التي تجني من البحث لو حلت إحدى هاتين المشككتين . فالحاجة الى ارضاد مبالغ وافرة من المال تتيح لعشرات بل مئات من الباحثين التوفر على هذه البحوث الفتانة الجليلة النفع

المرأة والدولة

في فجر الاسلام

للسيدة الباحثة نادية أبوت
ترجمها وعلق عليها : محمد عبد الغني حسن

— ٣ —

بعد ذلك التصوير المجلل للمرأة العربية واشتراكها في الحياة العامة ، ننتقل الى ذكر بعض نساء من أشهر القبائل في الحجاز. وهنا نرى مؤرخي المسلمين يعطوننا تنقفاً هزيلة من اخبارهن من حين الى حين . ولكن امرأة نابهة منهن لقيت عناية منهم ، ولو أن الصورة التي يصورونها بها مصبوغة بسياسة عصرها ومثله العالية . وقد يصورون تلك الصورة أحياناً بما يتفق مع خطة بعض الاحزاب السياسية المتأخرة

واول ما يعرض لنا من هؤلاء النسوة حُصَي بنت حليل آخر ولاية البيت من الخزاعين وقصتها المقبولة من كتب التاريخ أن أباهما رغب في تزويجها الى قصي القرشي (في ابن هشام والطبري ان قصي هو الذي رغب في الزواج منها)

وكان فتى معروفاً بالمغامرة فولدت له اربعة ذكور وبنتين هما تخمر وبارة ولا نعرف من تاريخهما الا أن تخمر بكت أباهما^(٢٦) حين ادركته الوفاة بشعر رثائي أما الذكور فهم عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي . وهي أسماء مشهورة في نسب قريش وفي تاريخ صدر الاسلام ولما أشرف حليل على الكبر جعل ولاية الكعبة لابنته حي ، وسامها مفاتيح الكعبة التي كانت تودعها أحياناً زوجها قصيا . وقبل ان يموت حليل سلم مفاتيح الكعبة الى قصي لتكون ميراثاً لولده من بعده . وأوصى له بولاية الكعبة والقيام عليها — ولكن خزاعة أنكرت تلك الوصية ونازعت قريشاً واضطرتها الى الدفاع عن حقوقها في ولاية البيت^(٢٧)

وهناك بعض الروايات المفصلة التي تناقض بعض ما ذكرت عن هذه القصة . فن المؤرخين من يقول ان حليلاً أعطى ولاية الكعبة الى حي التي أشارت الى أبيها بعجزها عن فتح أبواب الكعبة واغلاقها ، فوكل ذلك الى أبي غبشان وهو الذي تذكر بعض المصادر أنه كان ولدًا له . وبعد وفاة حليل عم قصي الى أبي غبشان فأسكره واشترى منه ولاية البيت بزق من الخمر وبعض من الابل^(٢٨)

(٢٦) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٣٩ — ٤٢ (٢٧) ابن هشام ص ٦٨ — ٧٥ وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٣٧ والطبري وكتاب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٧٦ (٢٨) ابن سعد ج ١ ص ٣٧ والطبري ج ١ ص ١٠٩٤ والسعدي ج ٣ ص ١١٧

وأياً من الروائتين أخذنا فإن الدور الذي لعبته حي يبدو ثانوي الشأن . ويلوح أنها كانت راغبة في تسليم المفاتيح الى واحد من اثنين زوجها أو معيها . ولكنها بعد ذلك لا يرد لها ذكر في المصادر . وإذا كان لنا ان نقبل احدى الروائتين فإن حي لم تكن الا ذريعة لنقل ولاية الكعبة من قبيلة خزاعة الى قبيلة قريش

ومن ناحية أخرى اذا رفضنا القصة جملة واحدة فليس هناك ما يمنع من تصديق ما يتعلق بحي من حوادثها . فانها — وهي ابنة حاكم الكعبة فعلت ما قد تفعله أية امرأة أخرى في مكانها . وان فتى بعيد المطامح نزاعاً الى السيادة — مثل قصي — لا يبعد ان يخطبها الى ايها فاذا نجح في ذلك فانه يستطيع ان يتوسل بزواجها الى توطيد قوته وتمكين الامر لذريته والتاريخ مفعم بحوادث كان الباعث فيها على الزواج سياسياً . وعند عرب الجاهلية تحضرنا أمثلة انتقلت فيها السلطة السياسية من بيت او قبيلة الى أخرى عن طريق الزواج . فهناك — على سبيل المثال — قصة بلقيس من الحميريين المتأخرين . وهي قصة تشبه الخرافة . وهناك قصة جذيمة التنوخي الذي زوج أخته برجل من اللخميين الذين تولوا بعده ملك (٢١) الحيرة (هو جذيمة الارش أو الوضاح كان ملكاً على الحيرة ستين سنة . وخلفه ابن أخته عمرو بن عدي الذي يعد أول ملك على الحيرة من اللخميين . وقصة زواج الرقاش أخت جذيمة من عدي بن نصر مذكورة في كثير من كتب التاريخ كالتطري وابن هشام وبلوغ الارب . وقد ذكرت الباحثة أن جذيمة هو الذي زوج أخته عدياً ، ولكن المؤرخين يقولون ان عدياً هو الذي تزوجها — برضاها — بعد أن أسكر أخاها جذيمة . فلما أفاق هذا بث الى أخته يقول : —

أبحر زينت أم بهجين ؟	حدثني وأنت لا تكذبي
أم بدون فأنت أهل لدون	أم بعبد فأنت أهل لعبد
وأتاني النساء للترين	أنت زوجتي وما كنت تدري
وتماذك في الصبا والمجون	ذاك من شريك الدامة صرفا

والقصة طويلة يحسن الرجوع اليها في مصادرها)

ولكن بغض النظر عن ولاية الكعبة وصيرورتها الى حي بنت حليل التي يجب ان نعدّها خليفة لأبيها أو وسيلة لنقل سلطاته — وهي غير محصورة في ولاية الكعبة — فإن وظيفة ولاية البيت لم يُعهد فيها الى امرأة من قبل . ولكن بعض الباحثين المحدثين يقولون ان مفتاح الكعبة كان في يد امرأة عندما فتح النبي مكة (٣٠) وهم يوهمون بهذا القول ان المصادر التي اعتمدوا عليها تمثل هذه المرأة صاحبة حق في حمل هذا المفتاح . وفي الحق — على كل حال — كما تذكر كتب السير ان عثمان بن طلحة وهو من ولد عبد الدار بن قصي هو الذي كان قائماً على ولاية البيت زمن الفتح . ونقول بعض المصادر ان عثمان هذا أودع المفتاح

(٢٩) ابن هشام ، كتاب التيجان طبع حيدر اباد ص ١٤٤ ، كتاب للسيدة نازية أبوت صاحبة هذا البحث عن نشوء الخط العربي الشمالي واستعماله في المصاحف (٣٠) لامنس في كتابه السابق ص ١١٢

أمة سلافة لتحفظه عندها . وقد طلبه النبي من عثمان فأخذ هذا من أمه سلافة وسلمه الى النبي (٣١) ولم يكن موقف سلافة — كما يقول رجال السير — أكثر ولا أقل من موقف الأم الحانقة التي رأت بعينها كيف انتقلت هذه الولاية الراجعة من يد ولدها وأسرمتها ولما رد النبي المفتاح والولاية على عثمان بن طلحة — تبعاً لسياسته في مصالحة القبائل وملايئنتها — لم نعد نسمع عن سلافة في السيرة ذكراً . ولعلها لقيت — كما لقيت حي — اغضاءً كثيراً من مؤرخي السيرة من المسلمين . وقد نستطيع ان نجتمع من هؤلاء المؤرخين أنفسهم أن المرأة العربية لم تعط ما يحيز لها الاشتراك في الحكومة التي أنشأها قصي في مكة كانت قريش تقضي أمورها في دار الندوة ، واليهما الحجابة والسقاية والرفادة واللواء وهي أمور لا يشترك في الفصل فيها إلا الرجال الذين أوفوا على الأربعين أو جاوزوها ، ما عدا نفرأ قليلاً ممن اشتركوا فيها وهم دون الأربعين ، وأكثر نساء هذه الفترة لا يرد ذكرهن في السير إلا فيما يتعلق بالانساب . ففي هذا الوقت كما في صدر الإسلام كان النسب من ناحية الأم لا يقل شأنًا ولا تقديرًا عن النسب من ناحية الآباء

اما اشتراك المرأة في المسائل السياسية في ذلك العصر فلم يصلنا عنه إلا نتف من هنا ومن هناك . فقد ورد في السير أن عاتكة بنت مرة زوجة عبد مناف بن قصي وأم كثير من أولاده الذين منهم هاشم والمطلب وعبد شمس اشتركت في حلف الأحابيش (٣٢) وهو الحلف الذي ألف بين قريش وبين بعض العناصر الحبشية في مكة

(تذكر الباحثة هنا ان هذا الحلف كان بين قريش وبين الاحباش في مكة ، ولعلها استنبطت ذلك من المشابهة بين أحباش وأحابيش . والذي أعرفه انه سمي بالاحابيش باسم جبل في أسفل مكة يقال له حبيش . والتصويب عن كتاب محمد رضا ص ٢٥٥ وعن تعليقات الشيخ محمود سيد الطباطبائي على سيرة ابن هشام ج ١ ص ١١١)

وتكاد تكون المصادر عن تاريخ هذا الحلف وظروفه (٣٣) غامضة . ولهذا ليس من العجيب أن يكون دور عاتكة فيه غامضاً أيضاً . ولكن النص التاريخي قد يعني أحد أمرين ، فاما أن تكون عاتكة قد مهدت لهذا الحلف . وإما أن تكون قد اشتركت في الاحتفال به . واول الامر ينبدو بعيد الاحتمال . وأما الثاني فقد يعين على قبوله ما صنعت به بعد ذلك بزمان عاتكة ابنة عبد المطلب بن هاشم في حلف المطيبين (٣٤) وقصة هذا الحلف الأخير — حلف المطيبين —

(٣١) سيرة ابن هشام ص ٨٢١ ، وستيفيلد ج ١ ص ٦٧ ، ١٨٤ ، ٨٧ ، واليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ٦١ (٣٢) تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٧٩ ودائرة المعارف الاسلامية مادة حلف (٣٣) لامنس كتابه السابق ص ٢٦٤ — ٢٦٦ (٣٤) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٣٠٧ والمصادر العربية المذكورة في الدائرة

أن بني عبد مناف عقدوه ضد بني عبد الدار حين أجمع الأولون على أن يأخذوا ما بأيدي الآخرين من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة . فرفض هؤلاء أن يعطوهم ما بأيديهم . فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً ووضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا وتعاهدوا ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم فسَمُّوا المطيبين

وفي هذا الحلف اشتركت واحدة من اثنتين من بنات عبد المطلب الست ، فمن المؤرخين من يقول إنها أم حكيم ومنهم من يقول إنها عاتكة — وسيأتي خبرها — التي أخرجت الطيب من الجفنة وأعدته للأحلاف الذين أخذوا اسمهم من ذلك ^(٣٥) وأياً كانت إحدى الاختين استحققت شرف الاشتراك في الحلف فإن الدور نفسه يبدو قليل الشأن

— ٤ —

نحن لا نعلم شيئاً عن فاطمة بنت عمرو — وهي إحدى زوجات عبد المطلب العديداً وأم خمسة من بناته وثلاثة من أبنائه منهم عبدالله وأبو طالب . ولهذا فهي جدة محمد — عليه السلام — وعلي بن أبي طالب ^(٣٦) وبالرغم من أن أربعة من بناتها عمات للنبي فأنا لا نعرف عنهن أكثر من أسمائهن ^(٣٧)

(ترد أسماءهن في كتب التاريخ في مناسبة رئاسة ابن لايين عبد المطلب — قبل أن يموت — بشعر ينكره ابن هشام لانكار أهل العلم بالشعر له — ابن هشام ص ١٠٦ ج ١)

أما الخامسة فهي عاتكة — التي أسلفنا الحديث عنها في حلف المطيبين والتي تروى ^(٣٨) عنها القصة التالية :

جاء رسول أبي سفيان الى مكة ليحمل اليه نبأً مفاجئاً عن خطر داهم يعترض غيره وفيها اموال قريش . وقبل وصول هذا الرسول : بثلاثة أيام

(اسم هذا الرسول ضمضم ، وقد أنفذه ابو سفيان الى مكة ليستنفر قريشاً على النبي وآله ، وكان ذلك قبل غزوة بدر ببضعة أيام)

رأت عاتكة في منامها رؤيا أفزعها ، فجزعت من هذه الرؤيا التي قصتها على أخيها العباس وهذا قصتها بدوره على آخرين . وما أسرع ما انتشرت هذه الرؤيا في أحياء مكة وأصبحت موضوعاً طريفاً للحديث . فاعتنم أبو جهل — عدو النبي المبين — هذه الفرصة الساححة

(٣٥) تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٨٨ وج ٢ ص ١٦ (٣٦) ابن هشام ص ٦٩ (٣٧) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٧ — ٣١ وابن هشام يذكر مراني ست منهن لايين (٣٨) ابن سعد ج ٨ ص ٢٩ وابن هشام ص ٤٢٨ — ٤٣٠

ليسخر بها من العباس قائلًا : يا بني عبد المطلب : أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث . فسنتر بصكم هذه الأيام الثلاثة فأن يك حقًا ما تقول فسيكون ، وأن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء فانتنا نكتب عليكم كتابًا أنكم أكذب أهل بيت في العرب »

وجاءت الحوادث مطابقة لرؤيا عاتكة التي اعتنقت الاسلام بعد ذلك بقليل وهاجرت الى المدينة. ولم نعد نسمع عنها بعد ذلك أكثر من انها عاشت بعد النبي زمنًا

وهناك ابنة اخرى لعبد المطلب ، وهي عمة ايضًا للنبي عليه السلام . وقد لقيت من مؤرخي السيرة اهتمامًا بها وتقديرًا لها . تلك هي صفية شقيقة حمزة عم النبي وأم الزبير بن العوام . وجدة عبد الله بن الزبير الخليفة المنافس للامويين

(خرج على الدولة الاموية زمن يزيد بن معاوية ودعا لنفسه بمكة واعتدهم بها ، وظل كذلك زمن معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان الذي أرسل اليه الحجاج لمقاتلته)

ويبدو ان صفية كانت من السابقين الاولين الى الاسلام في مكة ومن المهاجرين الاولين الى المدينة . وفي موقعة أحد حينما اضطر المشركون المسلمين الى التراجع وقتت صفية ورحبها في يدها ، تضرب الجنود وتصبح فيهم : أهكذا تهجرون^(٣٩) رسول الله ؟ ولما انتهت المعركة خرجت فاطمة بنت النبي تضمد جراح أبيها . أما صفية فقد أقبلت على أخيها حمزة بن عبد المطلب وكانت متعلقة به لتنظر اليه ، فقال رسول الله لا بها الزبير : القها فارجعها لا ترى ما بأخيها . فقال لها يا أمه ! ان رسول الله يأمرك ان ترجعي . قالت ولم ؟ وقد بلغني ان قد مثل بأخي وذلك في الله . فما أَرْضانا بما كان من ذلك ، لأحتسبن ولاصبرن ان شاء الله . فلما جاء الزبير الى رسول الله فأخبره بذلك قال : حلَّ سبيلها . فأثت فنظرت اليه فصلت عليه واسترجعت واستغفرت له . ثم عزاها النبي في مصابها بأخيها قائلًا : ان حمزة لقب بأسد الله وأسد نبيه^(٤٠) ، وانه مع الأبرار في الجنة

ونجد لصفية ذكرًا آخر في موقف عدائي عند حصار المدينة في موقعة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة المقابلة لسنة ٦٢٧ ميلادية . وكان النساء والاطفال في «فار» وهو حصن حسان بن ثابت شاعر النبي . وكان حسان — الذي دافع عن النبي بقلبه لا بسيفه — مع الجماعة في حصنه . وكان بين بني قريظة من اليهود وبين النبي عهد

(٣٩) طبقات بن سعد ج ٨ ص ٢٨

(٤٠) ابن سعد ج ٣ ص ٧ — ٩ ج ٨ ص ٢٨ والاخاني ج ١٤ ص ٢٣ وبيور ص ٢٦٤

فمنقضوه وانحازوا الى ابي سفيان وأصبحوا موضع شك من الانصار الذين اتهموهم بنقض العهد . ثم قتلوا فيهم بعد ذلك مقتلة عظيمة

وبينما كان النبي مشغولاً بأعدائه في واقعة الخندق ، لاحظت صفية وهي في حصن حسان أن رجلاً من اليهود جعل يطيف بالحصن وكانت اليهود قد قطعت ما بينها وبين النبي ، فخشيت صفية أن يدل هذا اليهودي قومه على عورات المسلمين من وراءهم من اليهود . فسألت حسان ان ينزل من حصنه فيقتله ، فقال لها حسان : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ! فلما عرفت منه حينه احتجرت ثم اخذت عموداً ونزلت من الحصن الى اليهودي فضربت به بالعمود حتى قتله ^(٤١) . ومن المؤرخين من يذكر أنها ضربته بسيف وفي مشهد آخر ترى صفية تظهر في موقف يخالف ما نعرفه عن صفية المقاتلة في الحوادث السابقة وكان ذلك في غزوة خيبر . فلقد خرج قبل الموقعة رجل من اليهود يقول : هل من مبارز ؟ فخرج اليه الزبير فاندفعت صفية مذعورة الى النبي معلنة خوفها على قتل ولدها . فقال لها النبي . بل ابنك يقتله ان شاء الله . وشاء الله ذلك وقتل اليهودي ^(٤٢) ووزع رسول الله مقاسم خيبر وأموالها فأدركت صفية منها أربعين وسقاً . وأدركت أربعين وسقاً كذلك عمته أميمة التي كانت أمماً لزوجه زينب بنت جحش ^(٤٣) وآخر ما ترويه السيرة عن صفية هو ظهورها مع فاطمة في حضرة النبي وهو في مرضه الأخير قبل ان ينقل الى منزل السيدة عائشة . فلقد التفت اليهما النبي قائلاً : يا ابنتي فاطمة ، ويا عمتي صفية ، املا ما يرضي الله عنكما فان محمداً لا يعني عنكما من الله شيئاً ^(٤٤) ولما مات عليه السلام — رثته صفية كما رثته أختاها « أروى » و « عاتكة » . ورثاه كذلك عدد من النساء والرجال ^(٤٥) منهم أبو بكر والشاعر حسان بن ثابت . وماتت صفية في خلافة عمر بن الخطاب ^(٤٦)

(كانت صفية شاعرة فضيحة متقدمة عند العرب ، وأخواتها شوارع كذلك . ولقد رثت أباه عبدالمطلب قبل أن يموت حينما أحب أن يسمع رثاء بناته فيه . كما رثت النبي بشعر رقيق جاء منه : —

(٤١) ابن هشام ص ٦٨٠ وابن سعد ج ٨ ص ٢٧ والافاني ج ٤ ص ١٦ والاصابة ج ٤ ص ٦٧١
 (٤٢) ابن هشام ص ٧٦١ (٤٣) ابن سعد ج ٨ ص ٢٧ وابن هشام فيه قائمة كاملة بأسماء الرجال والنساء الذين أصابوا من المغام (٤٤) ابن سعد ج ٢ ص ١٧ و ٤٦ وميور ص ٤٩٤ (٤٥) ابن سعد ج ٢ ص ٩٣ — ٩٧ (٤٦) ابن سعد ج ٨ ص ٢٨

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت رحماً هادياً ومعلماً
فدى لرسول الله أمي وخالي وعمي وخالي ثم نفسي ومالي
فلو أن رب الناس أتى نبينا سعدنا ولكن أمره كان ماضياً
عليك من الله السلام تحية وأدخلت جنات من العدن راضياً

ومن شعرها في الفخر والحماسة : —

ألا من مبلغ عني قریشا فقيم الامر فينا والذمار
لنا السلف المقدم قد علمتم ولم توقد لنا بالغدر نار
وكل مناقب الاخيار فينا وبعض الامر منقصة وطار
اما عاتكة فقد سبق الحديث عن الرؤيا التي رأتها وكانت شاعرة.

ومن قولها في الحماسة : —

سائل بنا في قومنا وليكف من شر سماعه
قيسا وما جمعوا لنا في جمع باق شناعه
فيه السنور والقفا والكبش ملتبع قناعه
بمكاظ يعشى الناظرين — اذا همولحو — شعاعه
فيه قتلنا مالكا قسراً واسلمه رعاعه
ومجدلا غادرته بالقاع تنهسه رباعه

المترجم — عن الدر المنثور ص ٢٦٢ ، ٣٢٠

— ٥ —

ومن النساء اللائي لقين عناية خاصة من المؤرخين الاسلاميين اثنتان من أسرة ابي سفيان الذي كان رئيساً لقریش في زمن الرسول : —

الاولى : زوجته هند بنت عتبة التي عارضت النبي والدين الجديد
والثانية : ابنته من غير هند — رملة التي كانت من السابقات الى الاسلام وتزوجت
بعد ذلك نبي هذا الدين

ولا نعرف على التحقيق متى ولدت هند ولا من اول أزواجها^(٤٧) ولا متى كان زواجها .
ولكننا نعرف أنها نسل عبد من شمس من قریش ، واول ما نلقاها مع زوجها النفاكه بن
المغيرة المخزومي عم خالد بن الوليد^(٤٨) الذي لقب فيما بعد سيف الاسلام

(٤٧) ابن سعد ج ٨ ص ١٧٠ وهو لا يذكر زوجها فكيه بل يقول انها تزوجت حفص بن المغيرة فجمعت منه ابان . وقد ذكر ابن قتبية زواجها من حفص في كتابه العيون ج ١ ص ٢٨٣ . والتعاقب التاريخي يجعل هذا الزواج سابقاً لزواجها من فكيه الا اذا كان هناك اختلاط بين فكيه وحفص (٤٨) الاغانى ج ٧ ص ٢٦

اصطلاحات

علم النبات ومدلولاتها

— ٢ —

محمود مصطفى الدمياطي

acerose, acerous, acicular (acereux, euse, f., **إبري الشكل**)
(aciculaire) هو الرفيع الصلب الخاد الطرف كورقة الصنوبر والعَرَعَرُ (الدفان)
ويستعمل في الأوراق خاصة

accessory fructification (fructification accessoire) **الإثمار الاضافي**
هو مجموعة أعضاء تنشأ في النباتات الدنيا لتكاثرها ولا علاقة لها بجنس الذكورة أو الأنوثة
(أي الشق) ^(١)

accessory (accessoire) **الاضافي** هو عضو زائد على الطبيعي في النبات
accessory bud (bourgeon accessoire) **البرعم الاضافي** هو برعم زائد
على البرعم الإبطي الطبيعي

accessory multiplication; accessory reproduction **التكاثر الاضافي**
(multiplication accessoire; reproduction accessoire) هو عملية تكاثرية ليست
شقيّة (أي لا علاقة لها بجنس الذكورة أو الأنوثة)

accommodation (accomodation) **التكيف** هو استطاعة النبات ان يلائم
الأحوال الطارئة عليه في حياته بالتدريج
achene, achaenocarp, akene (akène) **الثمرة الفقيرة** هي ثمرة تبيس

(١) اصطاحوا حديثاً على كلمة شق في مقابل sex التي تستعمل لجنس الذكورة أو الأنوثة وقد أخذت
تشمع كما ذكر الامير مصطفى الشهابي في مجلة الجمع العلمي العربي (عدد أيار وحزيران سنة ١٩٤٢ م) وأنا
أوافقه لان لفظة الجنس في اللغة العربية لها استعمالات شتى منها ما هو بمعنى الطبقة (category; class;
order) أو بمعنى الصنف (sort; species; variety) أو بمعنى الضرب (kind; sort) أو بمعنى
النوع (kind; sort; species) أو بمعنى جنس الذكورة أو الأنوثة (sex) التي اعتمدها مجمع نواد
الاول للغة العربية لفظي جنس وزوج وذكر في النسبة المصاحبة كلمة تزاوجي وهي نسبة الى التزاوج لا الى كلتي
جنس وزوج اللتين اختارهما

ولا تنفتح تنشأ عن مِسْدَقَّة واحدة وفيها بذرة واحدة منفصلة عن الجدار الثمري كثمرة شقيقة النعمان (١)

﴿ الخلية الاضافية ﴾ accessory cell (cellule accessoire) هي حَوَيْصَلَه أو حُبْجَيْسِرَة تصحب الخلية الحارسة في مَسَم الورقة (ثغرها) وتختلف بنية عن الخلية الحارسة وعن خلايا البشرة (٢) الاعتيادية

﴿ الصفة الاضافية ﴾ accessory character (cafactère accessoire) هي طبيعة عارضة في نوع ما تعتبر أحياناً في تمييز أصل (٣) عن آخر

﴿ الصفة المكتسبة ﴾ acquired character (caractère acquis) هي طبيعة خاصة تنشأ حين النمو في بنية النبات (مورفولوجيته) او في وظائف أعضائه (فسيولوجيته)

﴿ العُرَيْسَم ﴾ acervulus (acervule) هو كتلة أُثَيْنَة على هيئة الوسادة تتركب من حوامل وغيرات خارجية (٤) تنشأ عن بعض الفطرياتشاهد على قِلف الشجر وأوراقه ﴿ الفَيْسِرَة الاضافية ﴾ accessory spore (spore accessoire) هي غبيرة من أصل لاشقيي أو هي غبيرة كونيدية من نوع يختلف عنها عادة

﴿ اللي ﴾ acinaceous (acinaire) وصف للثمرة داخلها ممتلئ بزوراً كالبطيخة والعنب والبرتقالة

﴿ المتجه الى القمة ﴾ acrodromous وصف لنظام عروق الورقة اذا اتجهت عروقه الرئيسية متوازية في غالبها ثم اتحدت في قمة الورقة كما في لسان الحمل (٥)

﴿ المتزايد ﴾ accrescent (acrescent) هو كل ما كبر وبقي حين نضج الثمرة كما في حالة السكاس (calyx) (٦) في زهرة الميلانورهييا (٧)

﴿ الخموش ﴾ aciculate (aciculé e, f.) هو كل ما في ظاهره خمش دقيق غير منظم كالحش بارة

﴿ المستند ﴾ accumbent وصف يطلق على جنين البذرة حين تكون فلقته تستند ذاتهما على الجذير كما في فلقتي الكرنب (الملفوف) والقُنْبَيْط (القرنبيط) وغيرها

(١) نبات اسمه العلمي anemone (٢) epidermis (٣) race

(٤) اصطلاح الامير مصطفى الشهابي على تسمية conidium « بالغبيرة الخارجية » في مجلة المجمع العلمي العربي (عدد تموز - آب سنة ١٩٣٢ م) (٥) plantago (٦) ويقال للسكاس « الكم » و « القنب » ولكن السكاس اصلح (٧) شجرة اسمها العلمي melanorrhæa تنبت في بلاد بورما

﴿ مسيفي الشكل ﴾ acinaciform (acinaciforme) هو ما كان في صورة السيف الأحذب أي معقوف وله سطحان منبسطان وحدّان أحدهما مقعّر ثخين والآخر محدّب رفيع كالورقة من زهرة الجليد^(١)

﴿ عادمة الغلاف ﴾ achlamydeous وصف للزهرة تكون ناقصة الغلاف^(٢) أي فيها أجزاءها الاساسية (الاسدية والمدقات) دون وقاية من الكأس والتويج معاً كما في زهرة الصنفاف

﴿ عديم الرأس ﴾ acephalous (acéphale) وصف يطلق على قلم الزهرة إذا لم ينته بسمة واضحة كما في الفصيلة الشفوية (Labiatae)

﴿ عديم الفلّاق ﴾ acotyledonous (acotylédoné, e, f.) يطلق على جنين النباتات العليا إذا لم يشتمل على فلّاق كما في بذرة الكشوث^(٣)

﴿ قمي الثمر ﴾ acrocarpous هو ما نشأت ثماره في قمة ساقه أو فرعه كما في الطحلب^(٤)

﴿ قمي عضو التذكير ﴾^(٥) acrandrous هو ما نشأت أوعية لقاحه (انثريدياته)^(٦) في القمة من ساقه كما في بعض أنواع حزاز الصخر^(٧)

﴿ قمي عضو الأنثى ﴾ acrogynous هو ما له عضو بيضية (أركيجونيوم)^(٨) أو أكثر في القمة من محوره

(١) هي المسبربانثم المعروفة في سوريا «بالغاسول» واسمها العلمي Mesembryanthemum acinaciforme L. وبالانجليزية Hottentot fig (٢) اختار الدكتور أمين باشا المعلوم كلمة «لغافة» بدلا من «غلاف» perianth في مجلة المجمع العلمي العربي (عدد تموز وآب سنة ١٩٢٨م) (٣) اسمه العلمي cuscuta ويقال له أيضاً «الزجوك» و«حماض الارنب» وهو المعروف في مصر (بالحامول) (٤) moss

(٥) أشار الامير مصطفى الشهابي في مجلة المجمع العلمي العربي (عدد أيار وحزيران سنة ١٩٤٢م) الى ما نبه اليه الدكتور أمين باشا المعلوم من أن الكش بمعنى androcée أي مجموع أعضاء التذكير ثم حذّر رأي الدكتور مستنداً الى ما جاء في المخصص وفي القاموس من أن «الكش الذي يلقح به النخل» الى أن قال أخيراً «فك من الواضح أن المقصود عراحين الأزهار الذكورية التي تقطع من الفحل وتعمل الى النخلة فينثر لثامها على الأزهار الانثوية في الطلعة» ولكني لا اميل الى رأي الامير الذي أورده لأن الكش أصلح لما يقابل pollen وهو اللقاح كما يفهم من عبارة المخصص والقاموس المذكورة آنفاً. هذا وقد أقر مجمع فؤاد الاول للغة العربية كلمة «المشر»

(٦) اختار الامير مصطفى الشهابي كلمة «وعاء النطفة النباتية» لما يقابل antheridium في مجلة المجمع العلمي العربي (عدد تموز—آب سنة ١٩٣٢م) (٧) liver-wort (٨) archeogonium



مكتبة المقتطف

الكتاب الذهبي لمجلة الهلال

١٦٠ صفحة من القطع الكبير — مطبوعة بالروتوغرافور اجل طبع

إذا ما ذكرت النهضة الفكرية الحديثة برز اسم المرحوم جرجي زيدان علماً من أعلام الفكر وقائداً من قادة تلك النهضة، وبرزت آثاره العلمية والأدبية والتاريخية والقصصية دعائم ثابتة من دعائمها، وفي مقدمة تلك الدعائم أثره الخالد «الهلال»

وكان المرحوم مؤسس الهلال كان ينظر في سبتمبر سنة ١٨٩٢ بعين الغيب يوم ذكر في افتتاحية الجزء الأول من مجلته أن من أسباب تسميتها بالهلال تفاؤله «بنموها مع الزمن حتى تتدرج في مدارج الكمال»، وما هي ذي بعد نصف قرن من الزمان، ونصف قرن في حياة مجلة ليس بالأمر اليسير، تبلغ المدى الذي كان يتطلع إليه بصر جرجي زيدان وتدركه بصيرته ولقد صدق المرحوم داود بركات يوم قال «جرجي زيدان يتبدى بفضلُه بأنه علم نفسه، ويتضاعف هذا الفضل ويعظم وينفخ ويسمو بأنه كان في مدى حياته كلها معلماً لغيره، ويوم هذا الفضل غير منتهى إلى حدٍّ ولا منقطع إلى مدى بهلاله». فإن آثار هذا العالم منهل عذب لوراد الثقافة في فروع شتى

ولقد شاء نجملاه الفاضلان الحاملان علمه، والحريصان على أداء رسالته، المتكفلان بصدق نبوءته وتفاؤله، أن يجعلوا من عيد الهلال الحسيني بديلاً كاملاً، فأخرجوا هذا العدد الممتاز في بحوثه وفي صورته وفي ورقه وفي جمال طباعته التي عرفت بها دار الهلال، فكان ذلك باعثاً لذكريات مجيدة طوت السنين لتعود بالذهن إلى التأمل في الجهود العظيمة الذي بذله والدهما وخلفه لهما فلم يقصرا في هذا الواجب. ولولا حالة الحرب القائمة لوجب الاهتمام بالاحتفال بانقضاء نصف قرن على الهلال، احتفالاً نفخاً يتحلى فيه تقدير الشعوب العربية للعاملين ولقد حفل هذا الكتاب الذهبي إلى جانب الصور الرائعة التي حلت بها صفحاته وفي مقدمتها صور صاحبي الجلالة ملك مصر وملكيتها، بأثار وبحوث نفيسة لطائفة من رجال مصر البارزين تناولوا فيها تطور مصر في خمسين سنة في نواحي الحياة المختلفة كالخياة السياسية

والجيش المصري والنهضة النسائية والحياة الاقتصادية والتقدم الصناعي والتطور الزراعي والقضاء والمحاماة والدين ورجاله والنهضة الطبية والتطور الخلقي والتربية والتعليم والأدب وأطوار الصحافة والهندسة والعمران والاكتشافات الإسلامية والفرعونية والتأثيل العربي والفنون الجميلة. كما ضمت مباحث عربية وغربية عن الماضي والمستقبل لطائفة من كبار المفكرين في مصر والأقطار الشرقية الشقيقة ثم ختمت بفصول طيبة تناول فيها كتابوها ذكرياتهم عن الهلال ودأره في خمسين سنة. ومن يطالع هذه البحوث يدرك مدى ما وقف إليه الأستاذان أميل وشكري زيدان في إخراج هذا الكتاب الحافل بملخصة نفيسة لآراء طائفة من المفكرين والعلماء، وحبذا لجال لو ضم هذا الكتاب إلى بحوثه بحثاً في تطور العلم في مصر في الخمسين السنة الماضية كما تناولت البحوث الأخرى شتى أبواب المعرفة والعمران ولعلَّ جهد صاحبي الهلال الفاضلين يتناول في القريب إخراج آثار والدهما جميعها من جديد ليتيسر للجيل الحاضر الحصول عليها والارتشاف من مناهلها



أعاصير مغرب

نظم الأستاذ عباس محمود العقاد

الشعر الصادق مادة فن ومادة حياة في آن، والذين يعنون بتسجيل أطوار النفس الانسانية عامة ونفس العقاد الانسان والفنان خاصة، لا بد لهم من قراءة هذا الديوان، ليروا طوراً جديداً من أطوار هذه النفس، ويسمعوا الحناً جديداً من ألحان ذلك الوتر. وقد انفسحت نفس العقاد في تاريخه الفني لعدد من الألوان والألحان وقارى هذا الشعر الجديد قد لا يجد فيه فورة الحماسة، ولا وهلة المفاجأة، ولا حرارة الاندفاع، وقد يجد في مكانها سخرية المعرفة، واستخفاف التجريب، وابتسامه الرثاء، ولاكنه سيحس كذلك رجفة الاعصار وراء السكون الموهوم، وثورة العاصفة تكاد تغلت من الزمام، وسيلجح الأسى الدفين يغشى ابتسامه الرضى فوق ذلك الجبين! ثم يجد بين هذا كله عقاداً آخر فيه من العقاد الذي يعرفه من قبل مشابه وسمات، ولكن بينه وبينه كذلك فروقا واختلافات!

ان العقاد الذي يعرفه قارىء الشعر هو الذي كان يقول في « أشجان الليل »

وارتاد فيك اللهو بعد التعب
لقيتك جم الخوف جم التردد؟
بلدة جثمان ولا طيب مشهد
ترد مهاد الصفو غير ممد
ففي غير بيت كان بالامس مسجدي

تريد أن أرى بك اليوم للهوى
وألقاك جبها مستباحاً وطالما
رويدك أني لا أراك مليئة
جمالك سم في الضلوع وعثرة
إذا لم يكن بد من الحان والعلی

أما عقاد اليوم فيقول في « أعاصير مغرب »

أأهواك جسماً علا وانفرد وفتنة حسنك هذا الجسد
وما فيه من نزوة لا تحد وما شئت أنا حلم الأبد
بنية كوني كما قد خلقت فأت كما شامك الله أنت

والمسافة بين هذا النبض الانساني وذاك هي مسافة التطور في نفس العقاد ونظرته
للأشياء . وهي مسافة مطردة ونظرة شاملة في الديوان

قل : إنها المعرفة تلك « القمة الباردة » التي تنكشف امامها منحنيات الطريق ، فتبطل
الحماسة لكل طريق ، والتي تستوي عندها جميع الحالات فكل الأضداد « سيان » كما يقول
في إحدى قصائده ، وكل ما كان يستهول ويشير العجب إنما هو « قريب قريب »

عجبنا زماناً لهذا الحروب وما في الحروب لعمرى عجيب
أعجب من أن قوماً تمو ت ومن أن قوماً قساة القلوب ؟
وما قسوة الناس بدع ولا أرى موتهم بالجديد المريب
فهذي هي الحرب يا صاحبي كلا طرفيها قريب قريب

أو قل : إنها التجربة تنتهي بقبول الدنيا على علاقتها ، والتفرقة بين الوجود والموجود
بين خلقه الطبيعة و « حلم الأبد » والرضى بالمتاع المتاح الذي إن ذهب لا يعود ، وإن رفض
لم تحفل الدنيا ولم تعاود رافضه بما يريد :

يا قلب انك قد اردت فأين ويحك ما تريد ؟
عام سعيد ! اي وربك قل اذن عام سعيد
هيك اعترلت سروره أترأه ينقص أو يزيد ؟

أو قل : إنه الشعور بحسامة الجهد في الاختيار والانتقاء ، وتقاهة الصيد بعد
الكد والجهد :

خذ معدن الحب ان ألفت معدنه اني قعت بومض منه غرار
ما للأناسي من حب يدوم ولا حب يقوم على صدق وايثار

أو قل : إنه الانطلاق من كل قيد وسمت . انطلاق عابد الصنم تتكشف له السخرية
الكبرى في النهاية ، فيحطم الصنم في استهتار وسخرية :

دعيا تفسد الخمس بين افساد ابن عشرينا !

ولكن النفس الانسانية كثيرة الدروب والمنحنيات ، وجذوة الحياة فيها لا تلبث أن
تشع تحت الرماد ، وقد كان العقاد خليقاً بعد المعرفة والاختبار ، أن يهدأ ويستريح ، وان
يأخذ الحياة كما هي ، بلا أسف ولا صراع ، لولا ان قلبه لم يبرد ولولا أن عاطفته في اضطرام .
وإن الجذوة الكامنة لتزفر بالشواظ والدخان ، وإنك لو اجدت من هذه الزفرات كثيراً في
الديوان ، وان هذه الأشجان لتبلغ ذروتها حين تصبح اللذة المشوبة بالاكدار أقوى في النفس
من الإرادة ، ويصبح انتزاعها عملية بتر ، لا استئطاع اليوم كما كانت من قبل استطاع

أتراني نافعي والقلب دام
لذة المين بوشي ونظام
وسعار الجرح يمشي في عظامي
وامتلاء الأنف من عطر شذاها ؟

آه من برئي وآه من سقامي
آه من شمسي وآه من ظلامي
آه من صلحي وآه من خصامي
آه من لدعة آه ، في جواها

لذعة النيران ينفثن دخانا
لهباً صرفاً تعالى وتداني
ليضيء اللهب الخافي عيانا
من قرار النفس يرتاد ذراها

ولقد تجدد لهذه الجذوة حين تصفوسني وأشراقاً وتسمع لتلك النفس حين تشرق وموسم
وغناء ، وتلمح حينئذ نفحات من شعر الأربعين ! ، ولكنك — مع هذا — تلمح الأسى الشفيف
يعشى السنى والغناء ، وما يلبث الصفاء أن يغيم ، وما تلبث حتى تسمع مثل هذه النعمة المريرة :

بنيتها يا حسنه يا سناء ! بنيتها : قبر الهوى في صباه
قبر الهوى الغالي وواحسرتاه قبر الهوى الذاهب في منتهاه
أبعد خمسين هوى يا حزين ؟

تلك هي أعاصير الغروب في قلب إنساني رحيب

ويختلف الطابع الفني لشعر هذا الديوان كما يختلف طابعه الانساني ، مما قبله من الدواوين.
وإذا كانت السمة الغالبة في الأجزاء الأربعة الأولى هي نخامة الإيقاع والرنين ، وفي « وحي
الأربعين » هي الدقة والصرامة ، وفي « هدية الكروان » هي الرفرفة والغناء ، وفي « عابر سبيل »
هي الوضوح والبساطة . فإن السمة الغالبة هنا هي الترخص في جميع القيود سواء في الشعور أو
في التعبير ، وهي الموسيقى المرصلة بلا تنعيم ولا تقسيم ، وهي الالفه المتبسطة بلا كلفة ولا مراسيم
وربما كانت الخصائص التي ذكرناها آنفاً والسمات التي نذكرها هنا أوضح شيء في الفصول
الموسومة باسم « في النفس » و « في العالم » و « هنا وهناك » . أما الفصلان الموسومان
باسم « في مصر » و « في عالم الذكرى » والذان يحويان قصائد في الأحداث المصرية وفي
رثاء بعض الصحاب ، فربما وجدا مكانهما في غير هذا الديوان من الدواوين الأولى
والفراغ المخصص لهذه الكامة لا يتسع للحديث المفصل عن فصول الديوان جميعاً ولكن
هذا لا يمنعني من أن أنوه بقصائد الرثاء ، وإن أضع في مقدمتها رثاء كلبه « ييجو »
فدلائها على النبع الانساني العظيم في نفسه دلالة لا تراحمها فيها قصائد الديوان جميعاً
ومقدمة الديوان في ذاتها فصل من أبرع فصول العقاد ، وموضوعها من الخصوبة
والجدة بحيث يصلح مادة بحث مستقل في مقال خاص

وعلى أية حال فلن يكون ظهور ديوان للعقاد الا كسباً للفن الأدبي وكسباً للشعور
الانساني ، مهما اختلفت في تقديره الآراء

« أخواتي »

السيدة أمي خير — القاهرة ١٩٤٢

ما نظن اسم السيدة أمي خير بمجهول لدى قراء « المقتطف ». فقد سبق لنا أن وصفنا قصة لها طويلة تجري حوادثها في دمشق . ونشرنا لها شعراً مترجماً وفصلاً غزيراً في « مي »

وهذه ثلاث قصص متلاحقات في كتاب واحد عرضت المؤلفه فيهما على التتالي ثلاث نساء شرقيات عدتهن « أخوات » لها من باب الانعطاف والاستئناس . وهذه النساء الثلاث على تباين ملهن واختلاف تنشئتهن يلتقين في صعيد واحد هو الجو الشرقي التقليدي سواء في جانب الشعور أو جانب الارادة

وسياق القصص واقعي يغلب عليه التحليل المدقق والوصف المليح للتفاصيل، مع ظفرات شعرية ووثبات وجدانية جديرة بمؤلفة لطيفة الحس تريد أن تدعوك الى مشاركتها في الانعطاف والاستئناس

وأما التعبير فبماشر لا يميل الى مداورة ولا مكاشفة، وهو في الجملة مرصوف على ما يتوارد فيه من الجمل المطروقة في الأدب الفرنسي . والكتاب في النهاية جذاب رشيق هين المدخل

ب .

*

« بنت الشيطان »

لمحمد تيمور — نقلها الى الفرنسية جاستون فييت — القاهرة ١٩٤٢

يخيل الينا أن أدبنا الحديث أصبح يطالب بالدخول في دائرة الأدب العالمي . وهو في أخريات عهدنا يتطلع حقاً الى البروز فالارتقاء . ولعل في كتابنا — وهم نقر قليل — من يطرح الشهرة المحلية ليتأس مكانة أبعد بسطة في الأرض . من هنا ظفر بعض المؤلفات بالترجمة . ومن آخر ما ترجم مجموعة أقاصيص لصديقنا الأستاذ محمود تيمور الذي يمثل عندنا طريقة من طرائق الكتابة القصصية . والذي أقبل على الترجمة هو الأستاذ المستشرق الكبير جاستون فييت وهو الذي ترجم من قبل « يوميات نائب في الأرياف » لتوفيق الحكيم . وأقاصيص تيمور هذه بين الواقعية والتخيلية الا أنها كلها على محمود واحد في حسن السبك . والحق أن محمود تيمور يعرف كيف يدخل في القصة وكيف يخرج منها، فقد انقادت له

أسبابها . وترجمة الأستاذ فثيت على حلاوة ورشاقة ، وفيها جهد موفق لنقل الجو الشرقي والابقاء على نغمة التعبير العربي ما وسعت الفرنسية ذلك . والكتاب من خيرات المكتبتين العربية والفرنسية

ب .

*

المجنون

للكتاب التركي رفيق خالد . تعريب سامي الكيالي — جاب ١٩٤٢

إن ذهاب النظام التركي القديم — بل قل العتيق — من أشد الانقلابات التاريخية خطراً ومن أبعدها أثراً وأعلاها شأنًا . ومثل هذا الانقلاب العنيف لا يقع وقوع الامر الهين في أمة درجت على تقاليد راسخة واطمأنت الى نظم عاتية . وكان لا بدّ للأدب أن يسجل مظهر اختلال التوازن الناشئ عن تفكك المعتقد والخلال الثابت . وهذا الشاعر التركي الشهير رفيق خالد يؤلف مسرحية « المجنون » يستعرض فيها من طريق غير مباشر مراحل التقدم التي قطعتها تركيا في سنوات معدودات . وقد استنبط لذلك حادثة طريفة إذ أقام الموضوع على استفاقة رجل تركي كبير من حالة جنونية ابتدأت قبل « اعلان الدستور » بيومين ودامت احدى وعشرين سنة . ومعنى هذا ان المسكين ظل بعيد الذهن مما خرجت منه تركيا من الأوضاع البالية

وللمؤلف بعد ذلك أن يفاجئ المسكين بأطوار من الحضارة الحديثة واحوال من السياسة الجديدة تتركه حيران مغلوباً على رأيه كأنه لا يزال يعاني جنونه . وفي كل ذلك لفتات حسنة واشارات بليغة تتصل بالحياة الاجتماعية

والحوار حي دفاق ، والحوادث واقعية متلاحقة على وفتها ، والذوق المسرحي سليم على بساطته

وانا لنشكر زميلنا الاستاذ سامي الكيالي صاحب مجلة « الحديث » الحلبية اتحافه القراء بهذه المسرحية النفيسة ولا نريد ان نقف فضله على حسن الترجمة ودقة النقل ورشاقة التعبير ، فما هذا بغريب ولا هو بعزيز على قلعه . ولكننا نرى فضله في تزويد المكتبة العربية بدرجة من درر الأدب التركي ، وهو أدب يحسن بنا أن نطلع على مستحدثاته ولا سيما انه أخذ في طريق جديدة العالم . ومن يمكننا من هذا غير كاتب عربي قدير محكم للغة التركية رضع أصولها وهو طفل وتفقّه فيها وهو فتى وكهل

ب .

الدين الاسلامي

The Religion of Islam

للدكتور احمد غلوش — طبعته مجلة الازهر بالانكليزية — مطبعة الرضا في ٢١٦ صفحة
من القطع الكبير

هذا الكتاب مختصر لحياة النبي عليه السلام وتفصيل دقيق للديانة الاسلامية . دفع الدكتور احمد غلوش الى كتابته بالانكليزية أن بعض كتاب الانكليز أو غيرهم ممن تناولوا مسائل الاسلام أخذوا معارفهم من مصادر غير أمينة ، أو — كما يقول في مقدمته — حابوا ديانتهم على حساب الاسلام ، مما نقلهم من مؤرخين أمناء الى نقدة مضطغنين ولما كان تاريخ العرب في الجاهلية متصلاً بأوثق اتصال بحياة النبي العربي وبنشوء الاسلام وانتشاره فقد اختص المؤلف القسم الاول من كتابه بتلخيص تاريخ العرب وحياتهم الاجتماعية والخلقية والدينية والسياسية قبل الاسلام . ولقد تمى المؤلف في ختام مقدمته أن يكون هذا الكتاب سفيراً لحسن التفاهم ورسولاً للاماني الطيبة بين المسلمين وأهل الأديان الأخرى وأول فصول الكتاب فصل تمهيدي عن التعصب الديني وأثره في تغيير الحقائق التاريخية ، استشهد فيه المؤلف بكلام العلامة « رولاند » عن كتابة بعض الكتاب المسيحيين الذين لم يحسنوا عرض العقيدة الاسلامية . وهنا يقتبس المؤلف كثيراً من عبارات « بوسورث سميث » امتاذ التاريخ المساعد في كلية « هارو » الانكليزية ومؤلف كتاب « محمد والاسلام » . وهي عبارات تدل على إنصاف هذا المؤرخ وبعده عن التعصب ، وفيها كثير من الصديق الذي يجب أن يكون رائد المؤرخ وخاصة فيما يتعلق بمسائل الأديان . والكتاب ثلاثة أبواب : —

الباب الاول في تاريخ العرب قبل الاسلام وديانته ومعارفهم وأخلاقهم ولغتهم ومقدريهم في الخطابة ، وأسواقهم الأدبية ، ومكة ومقامها التجاري والديني وولاية البيت وسقاية الحجاج وسدانة الكعبة ، والمعلقات السبع — وهنا كنا ننتظر من المؤلف أن يطيل الحديث قليلاً عن المعلقات وعن الآراء المختلفة في تسميتها وعن الخلاف في عددها

والباب الثاني في حياة النبي ومولده واشتغاله بالتجارة مع السيدة خديجة التي تزوجها ، وهو زواج على الرغم من تفاوت السن بين الزوجين كان موفقاً سعيداً . فقد وقفت السيدة خديجة الى جانب النبي في أخرج المواقف وأعصب الاوقات . وهنا يجلو المؤلف في تفصيل جميل العلاقة الطيبة بين النبي وزوجته ، ويصور رحمته ، عليه السلام وعطفه وبره بأهله ولطف معاملته لمولاه زيد بن حارثة

وبلي ذلك فصل عن الوحي وآخر عن البعثة ورابع عن الأصنام التي كان يقدرها العرب

وما جرى خلال ذلك من أحداث في مكة . ويليه فصل خامس عن النبي في المدينة . وسادس عن صلح الحديبية . وسابع عن غزوة فتح مكة ، وهو فصل يطول فيه الحديث عن حوادث الفتح حتى وفاة النبي . والفصل الثامن عن صفات النبي وأخلاقه الشخصية وبساطته وتواضعه وشفقته وصبره وانكاره للذات وكرمه وكريم صحبته وعدله وحسن معاملته لأسرته . وفي صفات ظهرت في النبي منذ حداثته كما أشار الى ذلك « السير ويليام ميور » في كتابه عن حياة النبي . وفي هذا المقام من الكلام يدحض المؤلف قول من يتهمون النبي بحيلة الى تعدد الزوجات ، ويرد على السير ويليام ميور في هذه المسألة مذكراً هذا المؤرخ الكبير بأن اتهامه للنبي بهذه التهمة لا يتفق مع شهادته له بالعفة والطهر والفضيلة في ريعان شبابه

والفصل التاسع يتناول مقاصد النبي وأغراض رسالته ، وهنا يذكر المؤلف أسئلة وضعها وأجاب عنها « واشنجتون أرفنج » في كتابه حياة محمد : — هل كان النبي ينفد المال والثراء ؟ لقد وجد في مال السيدة خديجة الكفاية والغناء . هل كان يسعى الى الشرف والجاه ؟ لقد كان في شرف نسبه وذكاؤه واستقامته ما مكن له السيادة . هل كان يسعى الى القوة ؟ لقد كانت سدانة الكعبة وولاية البيت في أهله الأديين من زمن بعيد ، ولقد كان من الممكن ان تعينه حالة على التطلع الى ذلك ، ولكن محاولته هدم دين آبائه تقضي على كل أمل

اذن لماذا تابر على دعوته ولماذا لقي في سبيلها نصيباً ؟ ولماذا هاجر الى المدينة بعد ثلاثة عشر عاماً من بعثته ؟ ولماذا ترك التجارة الرابحة وآثر عليها الجهاد المصحوب بالكفاح من العيش ؟ ألم تكن كل فكرته ان يبني في المدينة مسجداً يؤسس على التقوى ؟ ألم يكن كل أمله ان يخطب الناس من فوق هذا المنبر وهو في مأمن من الخوف ؟ ألم يكن الايمان بالله والثقة فيه هي كل سلوته ومساعدته في وقت المحنة وساعة القنوط حتى حين أدركته الوفاة ، وهي اللحظة التي تضيق فيها أغراض الدنيا وخدع الحياة ؟

وفي الفصل العاشر رد على هجمات المغرضين على حياة النبي الخاصة ، فلم يكن محمد شهوانياً كما يدعون ، وإنما رعى بكثرة الزوجات الى تكثير العصبية وشدة الأثر وإحكام الصلات حتى يقوى على نشر دعوته وانتشار كلمته . ويلى ذلك فصول عن التغييرات التي أحدثها الاسلام في حياة العرب السياسية (ص ٧٨) ونظام الاسلام الاجتماعي (ص ٨١) ، ودحض بعض المفتريات على الاسلام ص ٨٣ ، وتعدد الزوجات في الاسلام وكونه ليس واجباً ولا ضرورياً (ص ٩٠) وأنه لا يجوز الا في بعض الأحوال كما اذا قل عدد الرجال وزاد عدد النساء إثر حرب طاحنة كما حدث في الحرب الماضية . أما اذا لم تدع الى التعدد ضرورة ولم تقض به حاجة فليس له محل (ص ٩٣)

ولقد أحسن المؤلف في الفصل الذي كتبه عن مقام المرأة في الاسلام (ص ٩٧) ، وعن الغاية من الزواج (ص ١٠٢) فليس هو مجرد الشهوة أو لدنيا يصيبها الرجل من زوجته ولكنه للحصانة والعفة . وعن اعطاء الرجل حق الطلاق وتقييده حتى لا يستعمله لاتفه الاسباب (ص ١٠٧) . فالطلاق في الاسلام لا يصح أن يلجأ اليه الرجل إلا في حالة الضرورة الملحة حينما تخفق جميع وسائل الاصلاح بين الزوجين (ص ١١٢) كما قال تعالى (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) وقوله (وان يفرقا يغن الله كلاً من سعته) وقوله عليه السلام (أبغض الحلال الى الله الطلاق)

وآخر الفصول في هذا الباب عن اهتمام الاسلام بعفة المرأة وقد نقل المؤلف آيات من القرآن مترجمة مثل قوله تعالى (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) سورة النور الآية ٣١

أما الباب الثالث من الكتاب فهو يتناول قواعد الاسلام والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدرة ومسائل كثيرة من علم التوحيد وفصلاً عن القرآن وفيه كلام عن السيد المسيح عليه السلام وعن تبشير الكتب المقدسة برسالة النبي محمد والحق ان الدكتور غلوش قد وفق كل التوفيق في تحقيق غرضه من تأليف الكتاب ، فقد أحسن الدفاع عن الاسلام في رفق ولين ، كما أحسن العرض في صدق وتحقيق . فلم يحاج المسلمين — وهو من أشدهم إيماناً — ولم يهاجم غيرهم لأنه لم يرم في كتابه ان يكون مهاجماً أو محايياً ، ولكن شارحاً ومحامياً

والمراجع التي اعتمد عليها المؤلف كثيرة ما بين عربي وانكليزي وما بين كتاب ومجلة موثوق بها معتمد عليها . ولغة المؤلف الانكليزية جيدة في سهولة . ويكفي للدلالة على ذلك شهادة مستر براكنبري والمستر ووكر المفتش بالمعارف وغيرهم

ولقد كان المؤلف دقيقاً كل الدقة في بحثه فهو لا يتكلم إلا عن وثوق ولا يحتاج إلا بعد ثبت ولا يروي إلا بعد تمحيص . اللهم إلا خبراً واحداً لم أجده ثانياً وهو ذكره أن أولاد النبي عليه السلام من السيدة خديجة سبعة (ص ٣٠) والحق انهم ستة ، أما السابع فهو ابراهيم وهو ولده من مارية القبطية (راجع ابن هشام والسيرة الحلبية ومحمد رضا والاعلام للزركلي) ولقد أحسن فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي كما أحسن مجلة الأزهر في المعاونة على اخراج هذا الكتاب الذي نرجو أن يكون هادياً للمستشرقين والباحثين في مسائل الأديان خاصة ، وغير المسلمين عامة على ان يفهموا الاسلام على حقيقته — في هذا العصر عصر الحرية الفكرية — كما يفهمه المسلم المعتدل الرأي الحسن البصيرة والفهم

محمد عبد الغني حسن

موكب الحياة

«ثمان وثلاثون قصة من الآداب العالمية» هدية «المقتطف» السنوية لعام ١٩٤٢
يحتوي هذا الكتاب طائفة مختارة من القصص العميقة الأثر القوية المغزى البديعة
التحليل بعضها مترجم عن بعض كبار الأدباء والقصاصين في الآداب الأوروبية . والبعض
الآخر وضعه أو ألفه طائفة من أدباء العربية وكتابها الموهوبين . ولقد أحسن «المقتطف»
بجمع هذه القصص مما نشر في سنيه السابقة . ودل عمله هذا على براعة وتقدير . فليس
من شك في أن الأدب القصصي يتناول الحياة على أنها ميدانه الرحب . والقصص العميقة
الأثر ما تلمس الحياة في صميمها ولا تقتصر على هامشها . والقصص البارعة من يتناول الحياة
ليعرضها أمامنا من خلال مزاجه الخاص . وعلى قدر نصيبه من عمق الاحساس وتقننه
في العرض يقوم فنه . فليس الفن سواء كان واقعياً أو غير واقعي بقطعة من الحياة مجردة .
ولا هو يقصد به ناحية خاصة في الأثر الخلقي أو الاجتماعي أو حتى الإصلاح الاجتماعي
بوجه عام . فالكاتب والقصاص إذا كان موضوعهما الحياة كما هي — لا كما يجب أن تكون —
يجب ألا يقيّد في نظرتهم إلى الحياة . وكذلك الفنان يجب ألا يقيّد في فنه . والفنان إذا
خضع لشخصية المصلح فسينتهي الرأي إلى الفكر لا إلى الفن . فتتشتت الأخيلة الفكرية
وتتضائل بجانبها الدوافع النفسية أو الحقائق الإنسانية . فقولتير وراسين واناطول فرانس
وتشوسر وشاكسبير لا نستطيع تصورهم مصلحين أو واعظين في أثواب فنانين لأننا بهذا
نكون قد حددنا وضيقنا نظراتهم إلى الحياة . ولو تصورناهم كذلك لكاننا نراهم يعشون
بشخصهم لأداء رسالتهم في الإصلاح الذي يطلبون ولكانت صوراً خاصة لا بظالمهم لا تنفق
ومنحاهم الفني . ولكن هؤلاء الفنانين كانوا غير هذا كله . كانوا الحياة بسموها وضعوها
بظالمها وعدلها بقوتها وضعفها ، الحياة بما احتوته من سخرية وعبث ومن حب ورجاء
هذه القصص التي نحن بصددتها مختلفة القلب . فكتابها قد اختاروا المنحى الذي يناسب
ما يودون إحداثه من أثر في أذهان القراء فهناك قصص يسار أسلوبها حركة العاطفة أو الحادثة
أو الشخصية . وهناك قصص تستعين بالتعبير الموسيقي فتبدأ بالأصوات الخافتة وتنتهي بالرنين
العالي . وبعض هذه القصص تجلت فيه المسات المحكمة الدقيقة التي لا تكاد تراها العين . وإنما
يحسها القلب وهي إذا تجمعت أخرجت الأثر الفني القوي دون الحاجة إلى الوصف الممل .
وبعضها الآخر ينحو بالقارئ إلى الاهتمام بالفكر وتحليل العاطفة . حقاً لقد أصبح لدينا في
الأدب العربي ما عرفناه وقرأناه في الأدب الانكليزي المعاصر من القصص العالمية الممتعة التي
جمعها وبوّبها مكسيم ليبير ووليز في كتابهما وهذا ما قد حققه المقتطف في «موكب الحياة»
حليم مري

بَابُ أَخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

حشرة « نغف جلد البقرة Hypoderma bovis »

تسبب لمصر خسارة نصف مليون جنيه سنوياً

بحث للدكتور أنيس بطرس

نوفمبر الى نهاية فبراير ، ومتوسط عدد هذه اليرقات هو ٢٠ ويصل أحياناً الى ٧٠ يرقة منتشرة على هيئة خراجات تبدو على ظهور الابقار المصرية وتخرج اليرقة من الثقب وتسقط على الارض مكونة عذراء ثم تفقس وتخرج منها الذبابة وهكذا

وقد وجد ان ٨٪ من الابقار المصرية تصاب كل سنة بهذه اليرقات ، ويكثر انتشار هذه الحشرة من وسط الدلتا الى اسيوط ويقل في شمال الدلتا الرطب وفي الجهات الحارة من الوجه القبلي

وأهم أضرار هذه الحشرة هي الثقوب التي تحدثها يرقاتها في جلد ظهر الابقار وهو الجزء المفضل من الجلد للصناعة فيقل ثمنه ٥٠٪ — وقد انضج ان ٤٠٪ من جلود الابقار الموجودة بالمدايق المصرية مصابة (فبعضها مصاب بثقوب حديثة واخرى نتيجة اصابة الحيوان بها في الاعوام السابقة لتدبجه) ويؤثر مرور اليرقات داخل جسم الحيوان ونخاعه الشوكي في أعصابه فيقل مقدار اللبن الذي تفرزه الأنثى بمقدار ٢٠٪ وينقص

شكت وزارة التجارة والصناعة كثيراً تلف جلود الابقار المصرية باصابتها بثقوب تحدثها يرقات هذه الحشرة في الحيوان وهو حي ، فأجرى الدكتور أنيس بطرس الطبيب البيطري بحثاً في هذا الموضوع الاقتصادي تحت اشراف الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك نال عليه درجة ماجستير في علم الطفيليات

وبمناسبة موسم ظهور الإصابة في الماشية الآن وهو الوقت الممكن مقاومتها فيه ارسل الينا ملخصاً لجزء من الرسالة يهم الجمهور فالحشرة ذبابة كبيرة برتقالية تهجم الابقار في مصر لتضع بيضها وتلصقه على شعر قوائمها في أشهر مارس وابريل ومايو — ثم يفقس البيض بعد ٣ أيام الى ٦ أيام عن يرقة صغيرة جداً تخترق جلد الحيوان مباشرة وتصل الى اعضائه الداخلية وتدور دورتها فيه مدة ٦ أشهر ثم تستقر تحت جلد ظهره حيث تعمل ثقباً كبيراً لتتنفس منه اذ يكون طولها أصبح حوالى سنتيمترين وقطرها ٢ ١/٢ السنتيمتر وتعيش تحته لا تتحرك حوالى ٣ أشهر من

خلال أشهر ديسمبر ويناير وفبراير
(٢) اعدام اليرقات داخل الثقوب بمحلول
الدريس Derris Solution الذي يساعد
أيضاً على طردها والتئام الثقب بسرعة
(٣) وقد وجدت ان أفضل طريقة لوقاية
الحيوان هي تطهيره جيداً يومياً أو كل يومين
خلال أشهر مارس وابريل ومايو لازالة البيض
الذي قد تكون وضعته الذبابة على الشعر
وتصيب هذه الحشرة أحياناً الاشخاص
المخالطين للمواشي فتخترق رقاتها جلدهم فتصل
الى النخاع الشوكي وتسبب لهم شلل النصف
الأسفل، أو تخترق كرة العين فتفقد البصر

وزنه ١٠ ٪ عن وزنه الطبيعي
وقد أجريت احصائيات دلت على ان ما
تخسره مصر في الجلود والالبان واللحوم
بسبب هذه الحشرة يبلغ نصف مليون جنيهه
سنوياً تقريباً
وقد اهتمت الدول الأوروبية والأميركية
التي توجد هذه الحشرة في بلادها اهتماماً كبيراً
بمقاومتها ، فلو وجهنا في مصر عنايتنا
الى مقاومتها لأضفنا هذا المبلغ الكبير الى روة
البلاد ، وان أفعل الطرق وأبسطها لذلك هي :
(١) اخراج اليرقات من الثقوب بضغط
الأورام بين أصابع الأيدي ثم اعدامها في

*

القوة الجوية والهجوم على المانيا

عنوانه « النصر عن طريق القوة الجوية »
بسط فيه رأيه بسطاً مفصلاً شافياً . ويجاريه
في هذا الرأي غير واحد من خبراء الطيران
أما الفريق الآخر فيذهب الى ان الهجوم
الجوي لا يكفي وحده لادراك هذا الغرض
وانه مع ذلك لا غنى عنه في التهديد لغزو
القارة الأوروبية بعد شل الصناعات الحربية
الالمانية وتمزيق أوصال أسباب النقل على بر
القارة ثم تصحب أساطيل الهواة الجيوش الغازية
والواقع ان الحكم في هل يمكن قهر المانيا
بالهجوم الجوي دون غيره متعذر الآن لان
الهجوم الجوي على النطاق الذي يقترحه
رجال الفريق الأول لم يجرب بعد . والقول
بأن سلاح الطيران الالمانى قد جرب الأسلوب

هذا بحث في الهجوم الجوي على المانيا
من ناحيته الفنية ولا صلة له بالسياسة الحربية
العليا لان قواعد هذه السياسة من أسرار
الهيئات المشرفة على ادارة الحرب في
الدول المتحدة

ان خبراء الحرب حيال القوة الجوية
واستعمالها فريقان بوجه عام . أحدهما وفي
طلبعته الماجور ده سقرسكي الروسي
الأصل الاميركي الرعية الآن، ويذهب الى
ان الهجوم الجوي على نطاق واسع وقوة
عظيمة كافٍ لاصماء المانيا . وقد كتب غير
مقال واحد من هذا الموضوع في المجلات
الاميركية المحترمة مثل مجلة الاتلانتيك
ومركوري ووضع من أشهر كتاباً شاملاً

على الكف عن الاشتغال في المصانع وطرق
المواصلات أو خفض عددهم الى ادنى حد
مستطاع

وقد تمكن الخبراء من استخراج « عامل
المقاومة » في كل منطقة صناعية . فاذا كان
الهجوم أقوى وأشد من عامل المقاومة —
كما كان الشأن في الهجوم على مدينة كولون
بأكثر من ألف قاذفة مثلاً — زالت تلك
المنطقة من حساب الانتاج الصناعي الحربي
أو أصيبت اصابة تشلها عن الانتاج أمداً
طويلاً . واذا كان الهجوم أضعف من عامل
المقاومة أصيبت المنطقة اصابة متفاوتة القدر
ولكنها مع ذلك تستطيع ان تضمّد جراحها
وتستأنف الانتاج كما حصل في غير مدينة
واحدة في بريطانيا والمانيا . فالهجوم الجوي
إذاً يقاس بمقدار ما يلقي على الهدف من أطنان
القنابل واستمرار هذا الالتقاء والعدد اللازم
من القاذفات له وعدد رجالها والقنابل وانواعها
ومقادير الوقود وغيرها . وهذه جميعاً يستطيع
تقديرها تقديراً على جانب وافر من الدقة ، وعلى
أساس هذا التقدير يذهب رجال الفريق الاول
أو بعضهم على الأقل إلى ان اصحاء المانيا بهجوم
جوي مستطاع

الاول وأخفق لا يدل إلا على ان سلاح
الطيران الألماني لم يكن متأهباً ولا قادراً
حينئذٍ على الهجوم على بريطانيا بقوة وافية
واننا لا نعلم طبعاً ما رأي المشرفين على
الخطط الحربية العليا وهل يميلون الى هذا الرأي
أو ذاك ولكن خبراء الطيران يؤكدون ان
سلاحه الطيران البريطاني والاميركي يملكان
وصناعتي الطيران البريطانية والاميركية تخرجان
الطائرات اللازمة لهذا الهجوم سواء في
ذلك أصناف الطائرات الضخمة والأعداد
اللازمة لتعويض ما يفقد منها . ويضيفون الى
ما تقدم ان في الوسع الآن أو في المستقبل
القريب توجيه غارات جوية كبيرة متواصلة
أو في حكم المتواصلة الى اهداف الصناعات
والمواصلات في المانيا

والغرض الرئيسي طبعاً هو تدمير ذلك
الجانب من النشاط الحربي في اوربا النازية
الذي لا بد منه ولا غنى عنه للقوات المدرعة
ولقوات المدفعية التي تستطيع ان تقاوم غزو
القارة الاوربية . فاذا دمر تعذر على المانيا
تعويضه فتعجز حينئذٍ المصانع عن الانتاج
الوافي وأسباب المواصلات عن النهوض بالنقل
الحربي اللازم . والغرض الثاني هو حمل العمال

الانتاج الحربي الاميركي

ملايين من الاطنان . وهذا عدا ما صنع من
السفن الحربية من البوارج الضخمة وحاملات
الطائرات الى المدمرات والغواصات وزوارق
الطوربيد وغيرها

بلغ الانتاج الحربي الاميركي خلال
سنة ١٩٤٢ في فئاته الرئيسية ٤٩ ألف طائرة
و ٣٢ ألف دبابة ومدفع سيار وأكثر من
سبع مائة سفينة نقل مجموع حمولتها ثمانية

النبات يحتاج الى عقاقير

لا يجدي كثيراً في اصلاح شأنه . ونبات الطماطم كذلك يحتاج الى البورون فاذا لم يتح له غذا طعماً لا يستطيعه الانسان

في العهد الماضي كان يظن ان النحاس والزنك من العناصر التي تعد سامة بالقياس الى النبات ولكنها تعد الآن من العناصر التي لا غنى عنها في نموه . والمقادير اللازمة من هذين العنصرين صغيرة جداً والمرجح ان كل تربة تحتوي عليها . ولكن في قارة استراليا مناطق فسيحة مردأ كثر تربتها الى ما كان قبلاً مغطى بهياه البحر فالحبوب التي تزرع فيها لا تعقد حباً إلا اذا أضيفت كبريتات النحاس الى التراب . والحاجة لا تزيد على بضعة جرامات من كبريتات النحاس لكل هكتار من الأرض . ويلوح ان هذه الانواع من النباتات تحتاج الى هذه المقادير — المجهريه تقريباً — من النحاس لكي يتم نمو أعضائها التناسلية فيستطيع زهرها حينئذ أن ينعقد حباً . فاذا لم يتح لها النحاس إما بطبيعة الأرض وإما عن طريق التسميد كانت الغلة قشاً

تقدم العلم في ربع القرن الأخير تقدماً عظيماً في معرفة الفيتامينات وغيرها من عوامل التغذية الأساسية في الانسان . ولكن قليلاً من الناس يعلم ان النبات كثيراً ما يشكو سوء التغذية كما يشكوها الانسان وانه في حاجة إلى مقادير يسيرة جداً من مواد معينة متنوعة لكي يستقيم نموه السوي . وفي هذا الميدان تقدم العلم تقدماً عظيماً كذلك . فقد انقضت الايام التي كان يظن فيها ان النتروجين والفوسفات وغيرها من مواد التسميد المعروفة هي كل ما يحتاج اليه النبات من غذاء فقد أثبت البحث في السنوات الأخيرة ان نمو النبات نموً اسويماً يحتاج الى طائفة كبيرة من العناصر الكيميائية وان ما يحتاج اليه منها يسيراً جداً على الغالب

فالنبات المعروف باسم «لوسيرن» وهو البرسيم الحجازي يصفرو ويضعف نموه ولا يصلح تماماً علماً للحيوان اذا أعوزته عنصر البورون . واذا كان التراب الذي ينمو فيه لا يحتوي على يسير من البورون فالتسميد المألوف

الطفل الوليد والهضم

بها في تغذية الأطفال بعيد الولادة . فثبت انه اذا حلت هذه المساحيق النباتية في الماء وأغليت تحولت حساء ينفع الطفل . وبالبحت المقابل ظهر ان الأطفال الذين يحتوي طعامهم على مثل هذا الحساء ، أسرع نمواً من غيرهم وحركة امعائهم اذق انتظاماً وصفة برازهم أحسن

يتعذر على الوليد أكل الخضر والافادة مما تحتوي عليه من عناصر غذائية لازمة للجسم لأنه عاجز عن مضغها وهضمها . ولكن ارتقاء صناعة الماء كولات الجففة ، أي الحولة الى مساحيق بعد ازالة الماء ، حمل فريقاً من الأطباء الاميركيين على تجربة التجارب

الافلام العلمية

روت نشرة الاخبار العلمية الشهرية انه
 عقد من عهد قريب في لندن مؤتمر لهشتغلين
 باعداد الافلام العلمية فأقر مقترحاً بإنشاء
 اتحاد يكون صلة الوصل بين الجمعيات العلمية
 المختلفة التي تعنى باعداد هذه الأفلام في
 بريطانيا

وخطب في هذا المؤتمر پول روثا مرحباً
 بالقلم المنتظر الذي أعد لتمثيل المراحل الرئيسية
 في حياة العالم الكهربائي والكيميائي المشهور
 فرادي . وهو فلم يعد الآن بأشراف المعهد
 البريطاني . وقال روثا ان فلماً من هذا القبيل
 يمد السبيل للذين يشاهدونه للاطلاع على

حياة هذا العالم ومكتشفاته ويبين تأثيرها في
 حياة الناس وارتقاء العمران
 ومما يتصل بهذا الموضوع نبأ فلم يعد
 في مدينة فوروينج الروسية بأشراف مجلس
 البحث الطبي فيها وغرضه بيان الوسائل التي
 كشف عنها العلم الحديث لاهياء الأجسام
 الميتة . فهو يصور كلاباً نرف دمها وبعد ما
 انقضت عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة على
 موتها حقن الدم في عروقها واذا القلب يخفق
 ثانية واذا الرئتان تنفّس وبعد فترة النقه
 استردت الكلاب صحتها السوية وهي تشاهد
 في آخر الفلم تعدو وتلعب وتستولد

امتحان تلوث اللبن

تنتج بريطانيا كل عام ما يزيد على الف
 مليون جالون من اللبن الحليب . وكانت العادة
 المتبعة حتى الآن في قياس تلوث اللبن واحصاء
 عدد البكتيريا فيه ، تعتمد على اخذ نموذج منه
 وبسطه على لوحة واحصاء البكتيريا بوساطة
 المجهر . وهي طريقة كبيرة النفقة وتستغرق
 غير قليل من الوقت والجهد

ولكن العلماء توصلوا الى طريقة جديدة
 أسرع وأسهل من الطريقة السابقة . وهي تعتمد
 على صبغ يدعى « ريسازورين » Resazurin
 وطريقة تطبيقها ان يؤخذ قليل من اللبن

الحليب ويضاف اليه قليل من الصبغ في حمام من
 الماء الدافئ حرارته ٣٧ درجة مئوية فيبقى
 فيه مدة معينة هي ساعة على الأكثر . ثم يؤخذ
 هذا اللبن ويضاهى لونه بلون اللبن السليم اي اللبن
 الذي يحتوي على عدد يسير من البكتيريا . فاذا
 كان لون اللبن أزرق عنى ذلك انه سليم من
 التلوث واذا تحول لونه ارجوانياً أو وردياً
 او غدا بغير لون على الاطلاق عنى ذلك انه
 ملوث

وقد اطلعنا على هذا النبأ في نشرة الاخبار
 العلمية الشهرية

هيئة دراسة الموارد العالمية

المخاليط الغازية يدخل في تركيبها مقادير يسيرة من الغازات النادرة المستخرجة من أقطار شتى

وإذاً فالألم تعتمد اعتماداً مطّرداً على المعادن المستخرجة من كل قطر ولذلك الحاجة ماسة الى معرفة موارد هذه المعادن في جميع أنحاء الارض لكي يبنى على هذه المعرفة سياسة عالمية حكيمة فتتخذ بعد انتهاء الحرب تنفيذاً يُراعى فيه الخير العام

وكان رئيس الهيئة في اجتماعها الاخير السر ستافورد كريبس وهو عالم كيميائي وتلميذ من تلاميذ الكيميائي المشهور السر وليم رمزي، قبل ان يغدو قطباً من أقطاب القانون والسياسة في بريطانيا. وقد اقترح على جمع تقدم العلوم البريطاني مقترحاً حكيماً مؤداه انشاء هيئة لدراسة الموارد العالمية تكون في منزلة مستشار فني للحكومات فيسدي بذلك يداً الى الاستقرار العالمي المنشود فأقر المقترح بالاجماع

عقد مجمع تقدم العلوم البريطاني قبل سنتين تقريباً مؤتمراً خاصاً من مؤتمراته السنوية وقفه على بحث « العلم والنظام العالمي » وعين هيئة لدراسة الموارد العالمية وتنظيمها على أساس عالمي. وقد روت نشرة الاخبار العلمية الشهرية من عهد قريب ان هذه الهيئة عقدت اجتماعها الثالث وخصّصت بالبحث فيه موضوع الموارد المعدنية. وقد خطب العالم المهندس السير توماس هولاند مدير جامعة ادنبره خطبة علمية خطيرة الشأن بين فيها توزيع الرواسب المعدنية التي يمكن استغلالها فقال « ان الطبيعة وزعتها بغير نظر الى الاقليم أو حدود الدول القومية ». ثم أفاض في ان تقدم الصناعة الحديثة قد أفضى الى اعتماد أم الارض جميعاً بعضها على بعض من هذا القبيل. فقيل قرن من الزمان كانت الصناعة لا تحتاج إلا الى أصناف قليلة بسيطة التركيب من الحديد والصلب ولكن المهندسين الآن يستعملون أصنافاً متعددة معقدة التركيب من

مدالية فرادي لعالم روسي

واستعمله. وكايتزا مدير معهد المسائل الطبيعية في اكاديمية العلوم بموسكو، وكان قبل عودته الى موسكو مساعداً للمدير البحث المغنطيسي بجامعة كيردج

قرر مجلس المعهد البريطاني للمهندسين الكهربيين ان يمنح مدالية فرادي للعالم الروسي بطرس كايتزا اعترافاً بما اسداه من يد الى علم الطبيعة في بحثه المجال المغنطيسي القوي

مكتب الأخبار الطبية

وفوائد أخباره الغريبة وارشاده الدقيق

فيها . والى القارىء مثلاً يمين فائدة هذا التأهب العالمي في شنّ هذه الحرب العالمية

بعوض الملاريا يتوالد في كؤوس الاوراق

أباح الاتفاق البريطاني الاميركي المعقود

في سبتمبر ١٩٤٠ منطقة معينة في جزيرة

ترينداد قاعدةً حربية اميركية . فلما استعدت

الفصائل الاميركية للسفر الى هذه القاعدة

كان مكتب الاخبار الطبية متأهباً لتزويدها

بما تحتاج اليه من الارشادات الصحية والطبية

في هذه المنطقة الخاصة . وكان أهم ما يستوقف

النظر في هذه الارشادات حقائق عظيمة

الشأن عن نوع من البعوض ينقل الملاريا . وهذا

النوع الذي نشر الملاريا في ترينداد وقضى في

مناطق منها على ٧٠ في المائة من السكان لا يتوالد

في المستنقعات بل في اوراق نباتية تشبه

الكؤوس . فيتجمع فيها ماء المطر فيتوالد فيه

هذا الصنف من البعوض . وهذا النبات يختص

شجرة معينة اسمها «الشجرة الخالدة» بعنائه

فيرش عليها . وسكان الجزيرة يقبلون على

غرس هذه الشجرة للانتفاع بظلها في مزارع

الكاكاو . فانتشار هذه الاشجار ، وتعرّيش

النبات الكأسي الورق عليها ، اتاح لهذا

الصنف من البعوض الاحوال المواتية للتكاثر

كان مكتب الاخبار الطبية الاميركي

قد جمع هذه الحقائق ، فلما تأهبت الفصائل

هذه الحرب حرب عالمية ، والعناية

الصحية والطبية بالقوات المسلحة يجب أن

تكون على أساس عالمي . فقد يصدر الامر

الى كتيبة ما بالنزول في ساحل افريقية الغربي

أو في أدغال غينية الجديدة ، أو في الصين أو

الهند ، ولذلك تحتاج الفصائل الطبية التي

ترافق الجيوش الى معرفة كل ما يعرف عن

الارض التي تؤمر الكتيبة بالشخص اليها ،

من الناحية الصحية الطبية

ولذلك يشمل القسم الطبي في القوات

المسلحة الاميركية ، مكتباً خاصاً مهمته

تسقط الاخبار الصحية والطبية من جميع

أحاء الارض ، وغربلتها وتبويبها واتاحتها

لرجال الصحة والطب الذين يرافقون القوات

المسلحة . فهو يفتيهم عن حمى الدنج في ولاية

معينة من ولايات الصين ، ومرض النوم في قلب

افريقية ، والحيات السامة في الساحل الذهبي

وشتى الحشرات التي تنقل الامراض في مختلف

بقاع الارض

ولا يكتفي هذا المكتب بما تقدم ، بل

يجمع الحقائق اللازمة عن المباني التي تصلح

في بقعة ما ، لتحويلها الى مستشفيات

طوارئ ، وقوة التيار الكهربائي في مدينة ما ،

إذا ما تقع جهاز كهربائي طبي أو جهاز أشعة

سينية ، اذا كانت الطاقة الكهربائية التي يحتاج

اليها غير متداولة في المدينة التي ينتظر استعماله

أخذية الجنود بعد خلعها إذ تكون دافئة
وعندما يلبس الجندي الخداء في الصباح تلدهه
العقرب . فلاحتمياط المعقول هو هز الخداء
هزاً عنيفاً قبل لبسه في الصباح
وفي الصحراء تهب عواصف الرمال .
وقد أثبت الاختبار ان المعرضين للاضطراب
العصبي والعقلي تؤثر فيهم هذه العواصف
تأثيراً بالغاً . وفي سجلات هذا المكتب
ان بعض القبائل في الصحراء تأتي اذانة القتال
اذا كان القتال في اثناء هبوب من هذا القبيل .
والاول يفسر الثاني

اعداد الارشاد الصحي والطبي

ولنفرض الآن أن كتيبة من الجنود صدر
الامر اليها بالسفر الى منطقة ما بعيداً لضباط قسمها
الطبي والصحي ، رسالة موجزة تشتمل على
الارشادات اللازمة فتحتوي مقدمتها كلمة
على استقرار الحكومة في تلك المنطقة لان
الخدمات الصحية التي يصح الاعتماد عليها ، لا
تقوم على الغالب إلا في بلد حكمه مستقر . وتشتمل
المقدمة كذلك ، على اسماء رجال الصحة في تلك
المنطقة ، وحقائق منظمة عن الصحة العامة
والمجاري ومياه الشرب ومصانع الثلج
وقد يبدو ان اشتمال الرسالة على حقائق
عن مصانع الثلج من النوافل . ولكنه ليس
كذلك لان حفظ طائفة غير يسيرة من اصناف
المصنوع واللقاح يحتاج الى مبررات
ثم يلي ذلك فصل عن الامراض السائرة
في هذه المنطقة

الأميركية المسلحة للسفر الى ترينداد سبقتها
فصائل أخرى وكانت مهمتها قطع الأشجار
فقل كثيرأ معدل اصابات الاميركيين بالملاريا
خارطات الامراض لا خارطات المعارك
واذا دخلت مكتب مدير هذا القسم
وجدت على جدرانه خارطات كبيرة ولكنها
ليست خارطات حربية ، بل خارطات طبية .
فهنا خارطة وضع عليها تفشي الكوليرا في
أنحاء العالم وأخرى وضع عليها انتشار
التيفوس أو الطاعون وما أشبه . وفي سجلات
المكتب جزازات دوّنت عليها حقائق تبعث
على الاستغراب والدهشة ولا تكاد تصدقها
لو لم يكن جامعوها ومحققوها من العلماء
صدق أو لا تصدق

ومنها وجود حيات بحرية سامة في خليج
ايران ، ومحارات كبيرة في جنوبي المحيط
الهادي تستطيع أن تطبق على قدم سائح كما
يطبق الفخ المنسوب ، وعلق ضخّم نهم في
أدغال بورما يحدث الانيميا في فترة قصيرة .
وهذا العلق اذا علق بالجلد وأخذ يمتص الدم
لا يجب أن يزال بنفضه باليد نقضاً لأن ذلك
يترك رأسه غارزاً في الجلد فيسبب إصابة
مرضية وكل ما يجب عمله هو مس جسمه
بلفافة مشتعلة فينكمش ويسقط كاملاً

ومن الارشادات التي توجه الى الجنود
الذين يرحلون الى شمالي افريقية الاهتمام
بتجنب لدغ العقارب . فالعقرب تبحث عن
مكان دافئ تقضي فيه الليل . ولذلك تدخل

حول رؤوسهم عند زوهم الى البر ليتقوا
البعوض . ومن الحقائق المسجلة في جزرات
هذا المكتب ، ان ثلث الجيوش البريطانية
الاولى التي زلت في الحرب العالمية الماضية ،
على ساحل خليج ايران ، أصيب بالمalaria في
أثناء الليلة الأولى

وهذا الفصل عن malaria يحتوي على تفصيل :
ما أصناف البعوض الذي ينقلها ؟ وهل يحجم
في الليل أو في النهار ؟ وهل يتوالد في الماء
الراكد أو في الماء الجاري ؟ وما مدى طيرانه ؟
وعلى هذا الخط تحتوي الرسالة الموجزة
التي تعدُّ لهذه الفصيلة ، جميع الحقائق
والارشادات التي لا بدَّ منها لوقايتها الصحية

الصوف من فول الصويا

الصوف — بصرف النظر عن اللحم طبعاً .
ولكن اذا زرعت فيهما فول الصويا كان
مقدار البروتين في غلة الفول ٤٠٠ رطل ومنه
تستخرج الآن مواد صناعية كثيرة ، منها
هذا الصنف من الشعر الشبيه بالصوف
وهنري فورد نفسه يلبس حيناً بعد حين
بذلة رُبْع صوفها من « صوف الصويا » هذا
ويذهب هنري فورد ، استناداً الى آراء
العلماء في هذا العمل ، الى انه في الوسع صنع
جانب كبير من جسم السيارة من عجينة
كيميائية مرد هاعلى الاكثر الى فول الصويا ،
وان أبواب سيارة تصنع من هذه العجينة
لا تقل متانتها عن متانة الأبواب المصنوعة
من الصلب

وقد تحتوي على حقائق اخرى . فقد
تكون الخفافيش في هذه المنطقة من
الحيوانات التي تحمل السعار (الكسب) . وهذا
يصدق على خفافيش بعض جزائر الهند الغربية
واذن فيجب ان توفر اسباب حماية الجنود في
الليل . وقد يكون في هذه المنطقة نهر يحتوي
ماؤه على دود يغرز في الجلد فينبّه الجند
الى وجوب الامتناع عن السباحة في ماء النهر
المalaria واتقاوها

وقد تكون malaria منتشرة فتتخذ جميع
الوسائل لحماية الجند من البعوض الذي ينقلها .
فاذا تعيّن على الجند النزول الى ساحل المنطقة
في الليل وجب أن يعدُّ لهم شبك خاص يوضع

أنشأ هنري فورد من سنوات معملًا
للبحث العلمي في فول الصويا وما يستطيع
استخراجه منه من مواد الصناعة . وعهد في
رأسه هذا العمل الى الباحث روبرت ألن
بوير . وقد أذاع بوير من عهد قريب انهم
استخرجوا من بروتين فول الصويا ، مادة
شعرية تشبه الصوف وانها أصلح ما تكون
لحشو وسائل السيارات . وصوف الصويا
هذا هو الشعر البروتيني الوحيد المصنوع من
مواد نباتية وسائر أصناف الشعر البروتيني
مصنوعة من مواد حيوانية

ومما يستوقف النظر خاصة ان فدانين من
الأرض تزرعهما عشباً يرعاه الغنم لا ينتجان
إلا ثمانية أرطال الى عشرة أرطال من

حقائق عن الاطعمة المجففة

بعد تجفيفها رطلاً واحداً . ووسق باخرة واحدة من الفواكه والخضراوات والبيض والحليب واللحم المجردة من مياها تشتمل على مقدار من التغذية يعادل ما يوجد في عدة شحنات من البواخر الحملة بالمواد الطازجة

اقسام المواد المجففة

وتقسم الاغذية التي تجرد من مياها أربعة أقسام : وهي المجففة بالهواء والمجففة بالشمس والمجففة بتبخير الماء والمجففة باستخراج مياها

ويقصد بالنوع الاول ازالة الماء بأية وسيلة من الوسائل المعروفة وبالنوع الثاني ازالتها بغير الحرارة الصناعية وفي حالي التبخير والتجريد من المياه لا بد من استعمال الحرارة الصناعية . ويتوقف التبخير على تيار الهواء الطبيعي ويتم التجريد من المياه بتشديد دورة الحرارة الصناعية

فاذا اريد تجفيف الجزر الاحمر بعد انقضاء ساعة على قلعه من حقله ، قطعت عروقه وغسل وقشرو وشرح ونشر على صوان من السلك ثم يسلم عليه البخار ست دقائق لأجل تبليضه وينقل الى جهاز التجفيف حيث تسلط عليه حرارة تختلف درجتها من ١٥٠ الى ١٨٠ درجة فهرنهايت مدة ست ساعات فيحصل من ١٩٨ رطلاً من الجزر الغض ١٧ رطلاً

يرى القارىء في الصفحة ١٣١ من هذا الجزء من المقتطف مقالاً عنوانه « تجفيف الطعام ، صناعة جديدة وجزء من خطط الحرب » . وفي مايلي حقائق أخرى لم ترد في المقال أو ورد ذكرها موجزاً ، وقد استخرجها الأستاذ عوض جندي من المجالات العلمية الاميركية

الماء في مواد الطعام

يحتوي معظم الاطعمة على كثير من المياه بحسب النسب الآتي بيانها : — الزمير الطازج ١٥ ٪ ودقيق الذرة ١٤ ٪ ودقيق الحنطة ١٤ ٪ ودقيق الشعير ١٤ ٪ والحمص ١٤ ٪ والفاصولية الجافة ١٤ ٪ والارز ١٥ ٪ والخبز ٤٠ ٪ والبطاطس ٧٥ ٪ والعب ٨٠ ٪ والجزر الأبيض ٨١ ٪ والبنجر ٨٢ ٪ والتفاح ٨٣ ٪ والجزر الأحمر ٨٩ ٪ والكرنب ٨٩ ٪ والبصل ٩١ ٪ والخس ٩٦ ٪

وكذلك البيض واللحم ثلاثة أرباعهما مياه وبعض الخضراوات كما تقدم القول يحوي ٩٠ ٪ من المياه ، فاذا أتيح التخلص من هذه المياه ، أمكن تقليل حجم النقولات فتوافر الاماكن في البواخر ويقل عدد البواخر اللازمة لحراستها ولا غرو فاحد عشر رطلاً من الخضراوات تصير رطلاً واحداً بعد تجفيفها وست وثلاثون بيضة تصبح

المجفف فأنها تقضي بتكسير البيض وتصفيته بمصفاة وتحويله الى مزيج سائل كاللبن . ويصلح البيض المجفف لصنع الكعك وللعجين المحلى بالخموز بالسمن ولدقيق الزلاية ولشعرية الحساء والعجة

وكانت الولايات المتحدة الاميركية الى سنة ١٩٢٥ تستورد من بلاد الصين كثيراً من البيض المجفف . وكان كثير منه يستعمل في الصناعة لاجل صقل المنسوجات والجلد وترويق النبيذ والبيرة وما اليهما . وكان البيض المجفف اقل استعمالاً في السوق الاميركية من مسحوق اللبن . وكان البيض المستعمل في الطبخ يستورد معظمه من بلاد الصين كما سبق القول اما في سنة ١٩٤١ وفي الاشهر الاربعة الاولى من سنة ١٩٤٢ فقد تم في الولايات المتحدة الاميركية انشاء ٦٥ مصنعاً جديداً لتجفيف البيض ، زاد متوسط انتاجها السنوي من عشرة ملايين رطل الى ٢٥٨ مليون رطل وقد تمت حديثاً التدابير اللازمة لتجفيف الطهاطم والبسلة الخضراء وقرع الكوسى والذرة والكرفس والسبانخ والهندباء والخس والفلفل والتوت

مجففاً تكفي ملء علبتين تسع كل منهما خمسة جالونات ثم يضاف الى كل منهما قطعة من الثلج الجاف (غاز الحامض الكربونيك الصلب) ثم يختم غطاؤها بصمغ اللك ، وبهذا الغاز يستطيع خزن الجزر مدة طويلة من غير فساد . وكذلك الليمون يمكن تجفيفه وحينئذ يخلط بسكر الذرة لكي يصير مسحوقاً يضاف اليه الماء فتحصل منه مادة تكون كثيرة الشبه بالعصير الاصلي . وكل ٢٥ صندوقاً من البرتقال يستخرج منها صندوق صغير من عصيره المركز . وبلغ ما ارسلته أميركا الى بريطانيا العظمى بموجب قانون الاقراض والتأجير ١٢٠٠٠٠٠٠٠ جالون من عصير البرتقال المركز . وهذا القدر يكفي لعمل ٩٦٠٠٠٠٠٠ جالون من شراب البرتقال وفي هذه الحالة تنقص فيه نسبة فيتامين C قليلاً ولا يضاف السكر الى مسحوق البرتقال الجاف . وتعنى الصيدليات التي في بلاد بريطانيا العظمى بتعبئة عصير البرتقال في قوارير تسع كل منها ست أواق ثم توزعه للبيع تجفيف البيض

وأياً كانت الطريقة التي تتبع في

معدة التمساح

وعقدت حباته من زجاج واحد عشر حجراً متنوعة وریش قنافذ وحبالاً اسود وعظاماً شتى

روت مجلة « اخبار العلم » الاسبوعية ان عالماً معنياً يبحث الهضم في التماسيح بأمركا وجد في معدة تمساح ما يلي : احد عشر خاتماً نحاسياً

فهرس الجزء الثاني

من المجلد الثاني بعد المائة

العلم والامراض العقلية	١١٣
التوأمان : شرق بصير وغرب مبصر : لميخائيل نعيمة	١٢١
شاعر الحب والفوات ، ذو الرُّمّة : لمحمود محمد شاكر	١٢٥
تجفيف الطعام : صناعة جديدة وجزء من خطط الحرب	١٣١
ابتهاال : للشاعر الاميركي أدون ماوكم	١٣٦
الحياة العلمية في مصر بعد ربع قرن : للدكتور علي مصطفى مشرفة بك	١٣٧
حرقة (قصيدة) : لبشر فارس	١٤٤
أسيار عاشر أبعد من بلوطو ؟	١٤٥
كيف ينبغي أن يكون التعليم الاقتصادي في مصر : لعبد الرحمن فكري بك	١٤٨
توزيع سكان القطر ناحية هامة للصحة العمومية : للدكتور حسن كمال	١٥٣
موكب الخريف (قصيدة) : اعدنان مردم بك	١٦٤
ذباب (قصة) : لايقاز كانسكار : نقلها عبد الوهاب الامين	١٦٦
سوريا في الرحلات الاسلامية : لنقولا زيادة	١٧١
المنيسلين : مادة تستخرج من العفن وتقاوم البكتيريا	١٧٧
المستشرق متفوخ : للدكتور مراد كامل	١٨٠
امين باشا المعلوم : لتقدير : لنجيب شاهين	١٨٦
ضوء الشمس والذرات مصدر الطاقة في المستقبل	١٩٠
المرأة والدولة في فجر الاسلام : للسيدة نايبة أبوت : ترجمها محمد عبد الغني حسن	١٩٣
اصطلاحات علم النبات ومدلولاتها : لمحمود مصطفى الدمياطي	٢٠٠
مكتبة المقتطف : الكتاب الذهبي لحلة الهلال . أحاصير مغرب . اخواتي . بنت الشيطان . الجنون . الدين الاسلامي . موكب الحياة	٢٠٣
باب الاخبار العلمية * حشرة نغف جلد البقر ، للدكتور أنيس بطرس . القوة الجوية والهجوم على المانيا . الانتاج الحربي الاميركي . النبات يحتاج الى عقاقير . الطفل الوأيد والمفهم . الانلام العامة . امتحان ثلوث الابن . هيئة دراسة الموارد العالمية . ميدالية فراداي لعالم روسي . مكتب الانباء الطبية وأعماله . حقائق عن الاطعمة المحفوظة . ممددة تسماح	٢١٣